18ème année No 871

Le Caire - 18 — 8 — 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٧١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٦٩ — ١٣ مارس سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

الاسلام والمذاهب الهدامة

الإسلام هو السلام الإلهى على هذا الكون . شرعه الله وهو العليم الخبير ليكون للناس جميعاً دستوراً كاملا تصلح عليه شؤون الفرد وأمور الجماعة من كل جنس وفى كل عصر وعلى كل أرض .

جمل فيه أفضل ما فى الديمقراطية ، وأعدل ما فى الاشتراكية ، وأجل ما فى المدنية ؛ ثم كشف لرسوله الكريم عن أطوار النفس البشرية فى طوايا الغيب فدعا دعوته الخالدة لتكريم الإنسان وتنظيم العمران وتعميم الخير وتحقيق السعادة من طريق التوحيد والمؤاخاة والمساواة والحرية والسلام . فالتوحيد سبيل القوة ، والمؤاخاة سبيل التعاون ، والمساواة سبيل العدل ، والحرية سبيل الكرامة ، والسلام سبيل الرخاء . وتلك هى الغايات التى ترجو الإنسانية بلوغها من طريق النظم السياسية والمذاهب الاجتماعية فلا تتكشف أمامها بعد طول الجهاد وفرط الجهد إلا عن سحاب خلب وسراب خادع .

ثم علم الله جلت حكمته وعز شأنه أن الفقر من أمراض المجتمع المحتومة ما دام فى الناس القادر والعاجز والقانع والطامع والسابق والمتخلف ، فعالجه علاجاً لو دأب عليه المسلمون لعاشوا إخوة متعاطفين متناصرين تجد فيهم الفقير ولا تجد المحروم ، وترى بينهم الضعيف ولا ترى المظلوم ، لأن دينهم جعل بين الغنى والفقير سبباً هو البر ، وأنشأ بين القوى والضعيف نسباً هو الرحمة .

ولو أخذ به المصلحون لوقى العالم شر هذه النحل الهدامة التى تثير بين الدول النزاع والحرب ، وتنشر بين الأمم القلق والثورة . ذلك العلاج الإلهى هو الوساطة بين الأغنياء والفقراء على أساس الاعتراف بحق التملك ، والاحتفاظ بحرية التصرف ، فلا يدفع مالك عن ملكه ، ولا يعارض حر فى إرادته . إنما جعل للفقير فى مال الغنى حقاً معلوماً لا يكمل دينه إلا بأدائه . ذلك الحق هو الزكاة وهى الركن الثالث من الأركان الخمسة التى بنى عليها الإسلام . وليست الزكاة بالقدر الذى يمحق أثره فى حياة الفقير ، فهى ربع العشر فى المال وما يقدر بنحو ذلك فى غيره . فإذا جبيت الزكاة بالأمانة على حسابها المقدر ، ووزعت بالعدالة فى نظامها المفروض ، شفت النفوس من الحقد ، وأنقذت المجتمع من البؤس ، فلا تجد سائلا فى شارع ، ولا جائعاً فى بيت ، ولا جاهلا فى عمل . ذلك العلاج الذى عالج به الإسلام الفقر فيه البر والرحمة من صاحب المال ، والرضا والقناعة من صاحب العمل ، والرعاية والعدل من صاحب الحكم . وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ؛ ولكن أصحاب النحل الخبيثة وذوى المطامع الخسيسة لم يرضهم فى الزمن الغابر ، ولا يرضيهم فى الزمن الحاضر ، أن يعيش الناس وادعين راضين فى ظلال النظم المشروعة ، فهبوا يعارضون أوامر الله ووصايا الرسل بتسليط الغرائز وتحكيم الشهوات ، وإثارة الفتن ، فتمردوا على الدين ، وتحللوا من الخلق ، وتحرروا من القيود ، وقال القرامطة : « لا حقيقة فى هذا الوجود وكل أمر مباح »

(البقية من القاهرة فى مساء الخميس الماضى)

بذر هذه البذرة الملعونة فى الشرق الأسلامى بابك الخرمى فى القرن الثالث من الهجرة ، ومن بعده عبد الله بن ميمون ، ومن بعده الحسن الصباح شيخ الجبل ، وأغروا بثارها المحرمة عباد اللذة وروادالمنكرمن ضعاف العقول وصغار الأنفس ، وأمعنوا فى الغى والضلال، واشتركوا فى النساء والأموال ؛ وفى سبيل ذلك نشروا الارهاب ، وبددوا النظام ، وزعزعوا الأمن .

كان أولئك الطاغون الخداعون يقترفون هذه الكبائر تحت ستار من الدين والخلق : فبسلطان الدين كانوا يشيعون الالحاد ، وباسم الخلق كانوا ينشرون الاباحية . ولكن الاسلام منبعين من كتاب الله وسنة رسوله لا يزالان يتدفقان بالصفاء والطهر والعذوبة ؛ فإذا تلوثت مجاريه البعيدة بمثل هذا الدنس أقبل الفيض الالهى فجرف تياره القوى كل عفن ، وطهر ماؤه النقى كل رجس .

وفى هذا العصر الحديث تجددت المزدكية والبابكية باسم الفوضوية والشيوعية ، فقامتا تدعوان باسم الانسانية إلى الالحاد والاباحية سراً وعلانية . تقول الشيوعية للاسلام : إن ربك ظالم لا يعرف العدل ، جائر لا يعرف المساواة، مستبد لا يعرف الحرية . لا يعرف العدل لأنه يقول : والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق ، وأنا أريد أن يكون الرزق مشاعاً ينال كل امرىء منه ما يشاء . ولا يعرف المساواة لأنه يقول : ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات ، وأنا أريد أن يكون الناس جميعاً فى كل أمر سواء . ولا يعرف الحرية لأنه قيد كل شىء بقيد : قيد الرزق بالملكية ، وقيد المرأة بالزوجية ، وقيد تصرف النفوس بالعقيدة والخلق ، وقيد تداول الأموال بالوقف والارث. أما أنا فأقول : كل شىء مشاع، وكل أمر مباح ، وكل إرادة طليقة . حرمت الملكية ، ومحوت الأسرة ، وألغيت الجنسية ، وأنكرت الوطنية ، وجعلت المزارع والمصانع والنساء وسائل للانتاج العام : آخذ من كل على حسب كفايته ، وأعطى كلا على حسب حاجته . على الناس أن يعملوا ، ولهم أن يأكلوا . . أما أن يكون للأفراد أملاك تغنيهم عن الانتاج ، وللآباء أبناء يشغلونهم عن العمل ، فذلك فى شرع الشيوعيين لا يجوز . الملك ملك الدولة ، والولد ولد الدولة. وليس بين الرجل ووطنه ، ولا بين الولد ووالده ، إلا كما يكون بين القطعان والمرعى ، أو بين الحلان والكبش !

ذلك ما يقوله الشيوعيون فى الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا

يزعم الشيوعيون أنهم أعلم من الله بأحوال خلقه ، وأعدل منه فى تقسيم رزقه ؛ فهم لذلك ينكرون دينه، ويغيرون شرعه ، ويحاولون أن يهدموا كل ما أنتجته القرائح وخلفته القرون ليبنوا على أنقاض ذلك كله شيئاً لا يقولون صراحة ما هو ، ولا يُرون الناس جهرة كيف هو ؛ وإنما يضربون من دونه الأسداد والحجب ، فلا يقع فى الأسماع منه إلا ما يريدون هم أن يقع ! وفاتهم قبل أن يلغوا الفضائل والعقائد والقيم أن يلغوا العقول حتى يصدق الناس أن هذا الشىء الذى يذكر فى السر، ويدبر فى الظلام، ويبذل فى سبيله الأموال والأنفس والثمرات والجهود إنما يقصد به العدل المطلق والخير العام ، ولا يقصد به طغيان بشر على إله ، وسلطان دولة على عالم !

ليست الشيوعية عقيدة تقوم على الخير ، ولا طريقة تعتمد على الحق ، ولا رسالة تؤدى بالمعروف ، إنما هى أطماع من عمل الشيطان وسوس بها فى صدور جماعة من مغامرى الروس كابدوا استبداد القيصرية ، وقاسوا استعباد الأرستقراطية ، فلم يكادوا يثلون عرش المستبد ، ويقوضون صرح المستعبد ، حتى أدركهم مركب النقص، وأخذتهم سورة الانتقام ، فتقاسموا بينهم جبروت القياصرة وسلف الأشراف، وسخروا كل ما تنتج العقول وتخرج المصانع وتنبت الأرض للجيوش والأسلحة ليتخذوا عباد الله كلهم عبيداً ، ويجعلوا أرض الله كلها لهم ضيعة احزب من ستة ملايين قيصر قد أعد الحديد والنار والدمار والقلق والفزع والاضطراب والفوضى لتنفيذ هذه الخطة وبلوغ هذه الغاية ! فهل يقدر الله أن تنهزم القوى الخيرة أمام هذا الشر ، وتتخزل المبادىء الصالحة عن هذا الفساد ؟ حاشى لله أن يؤتى ملكه غير البر ، وأن يورث أرضه غير الصالح ؛ فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .

إن العقلية العربية معمرة فلا تقبل الهدم . وإن العقيدة الاسلامية نيرة فلا ترضى الضلال . وإن النحل الهدامة التى انتشر ظلامها حيناً فى سماء العراق إنما كانت خارجة عن الاسلام طارئة على العرب . وإن الشرق العربى سيظل بفضل عقليته وعقيدته آمناً من كل سوء ، نابياً على كل فتنة .

أحمد حسن الزيات

محمود علي برد

خيانة امرأة

للأستاذ كامل محمود حبيب

— ٣ —

كتبت في العددين ٨٦٥ و٨٦٦ من « الرسالة » الغراء قصة «خيانة امرأة» وهي قصة سمعتها بقلب يهتز من أثر الصدمة، وعينها بفؤاد يضطرم من أثر الفجيعة، وحفظتها في عقل يختلج من أثر الحيرة؛ ثم ظللت أياماً أنازع عنها الرأي وأدفع عنها القلم وأدع عنها الخيال؛ شفقة على صاحب القصة أن يراها مسطورة بين يديه فيرى فيها — داعماً داء قلبه وأذى روحه، فلا يتسرب إليه النسيان؛ فتكون كما تأتي غذاء يتأرث به ضنا روحه، وحطباً تتوهج به لواعج نفسه. ولكن صاحبي كان يلح في أن أهديه إلى الرأي الذي عزب عن فكره، وأن أبصره بالصواب الذي ندّ عن عقله، فأهبت بصحابي وأحبائي من قراء «الرسالة» أن يمينوه بحل فيه الصواب والعقل، فتدفق علي فيض من رسائلهم وفيها آراء أعرض بعضها هنا، لي الأسلوب والأداء، ولأصحاب الرسائل الرأي

***

كتب الأديب عبد الفتاح اسماعيل القبيبي بغرشوط بعد مقدمة طويلة من التحايا الطيبة المشكورة يقول:

... والحق أني قرأت قصة «خيانة امرأة» فأحسست بعقلي يختنق، وشعرت بصدري ينقبض، وشملني هم ألح علي أياماً فما استطعت أن أدفعه وهو يلازمني، ولا أن أفر منه وهو يلاحقني، فأذهلني عن أن أجد ريح الحياة الطيبة أو أحس نعيم الهدوء الجميل، فضاقت علي الأرض بما رحبت وضاقت علي نفسي. واستشعرت كلماتك تساقط على كبدي شواظاً من نار يسلبني القرار والعقل، فظللت حيناً مستلب اللب مأخوذ الرأي لا أثبت على فكرة ولا أستقر على خاطرة. فما بال صاحبك وهو قد وجد لدفع المصيبة في قرار قلبه وأحس مس النكبة في أعوار نفسه، ورأى المرأة التي حباها بالهوى والحب، وخصها بالحنان والعطف، وفضلها على كثير من ذوي قرابته، وعق في سبيلها أباه وأحفظ أهله ... رآها تثلم شرفه في عبث وضيع، وتخدش كرامته في استهتار حقير، فلا عجب إن جاءك ينثر عبرات قلبه بين يديك الرفيقتين وينفض أتراحه أمام روحك المتألقة؛ فهو غريق أعوزه اللجأ فنفر إليك علّه يتفيأ ظل عقلك، ومحترق أعجزه المهرب ففزع نحوك يستلهم الهدى من قلبك. فالتمس له عذراً ... أو، لا ... فهو كان يعلم أن صاحبته عاشت في دار أبيها تنعم بالحرية التي يزينها الشيطان ويزوقها الهوى، ولكنه لم ير بعقله الأعور أنها تخلبه بكلام مموّه جميل هو مما يزخرف الخداع والمكر، وأنها تستميله بصناعة أهل المدينة وتجذبه ببضاعة أهل الحضر؛ وهو فتى بدوي الطبع ربيّ الشمائل، خلو من خداع المدنية بعيد عن لؤم الحضارة؛ تخلطها بنفسه على حين قد غاب عنه أنها تتصنع طهارة تستر رجساً، وتموه عليه ببراءة مصنوعة توارى خسة، فارتدع في نزوة من نزوات الشباب وانحط قلبه في غمرات الطيش، ليجني — بعد حين — ثمرات نزقه مأساة جارفة تعصف بآماله وتطوي أمانيه وتهدم سعادته.

ولست أدري كيف يطمئن الرجل في دار تضم امرأة دنست عرضه وامتهنت كرامته؟ ولا كيف يرغم نفسه على أن يبذل في سبيلها درهماً واحداً من مال أصابه بالجد والتعب فيطعمها ويكسوها ...؟ ولا كيف يرضى أن يحميها في داره من غوائل الحياة وهي رجس من عمل الشيطان، عبثت بحرمته وانتهكت شرفه؟ ولا كيف يطيق أن يراها تضطرب أمام ناظريه وهو يحمل لها في نفسه بغضاً واحتقاراً؟ فماذا إذن يمسكه عن أن يقذف في وجهها بالكلمة المحرمة فيلقي بالخائنة الوضيعة إلى الشارع ... إلى الذئب.

أما أحباؤه — أبناؤه — فيسجدون في المربية عزاء وسلوة .. والمربية الحصيفة تستطيع أن تكون أماً وخادماً.

***

وجاء في رسالة الأديب نيازي علي مرزوق بكلية اللغة العربية ما يأتي:

لا معدى لصاحبك — يا سيدي ... من أن يحل عقدة الزواج

ويلقى الخائنة إلى فجاج الشارع ، فإن حرمان الصغار من عطف الأمومة أيسر من أن يرى الرجل شرفه وهو يلطخ بالدنس ثم يقف حياله عاجزاً ضعيفاً لا يدفع عن نفسه ضيما ولا يرد أذى . والنساء غيرها كثير فليتزوج من أخرى طاهرة المنبت شريفة الأصل نبيلة الأرومة فيجد فيها زوجاً تصون عرضه وتحفظ كرامته ، ويجد الصغار في كنفها العطف والحنان .

وللأديب محمود محمد عبده بالمنصورة رأى يشبه رأى الأديب نيازى .

وكتب الأديب السيد عوض الجعفرى بقنا يقول :

قد تظن — ياسيدى — أن صعيدياً مثلى يقرأ قصة « خيانة امرأة » فيفقد عقله ويطير صوابه وتتأجج فيه الحيوانية الثائرة التى لا تعرف إلا الدم ... الدم الذى يغسل الشرف الرفيع مما لوثته به امرأة حمقاء ساقطة ، ولكنى أترفق بصاحبك فأهديه إلى سواء السبيل فى غير عنف ولا شدة . والرأى عندى أن يذرها فى الدار تخدم أولادها وهم حبة قلبه ونور عينه ؛ ثم يهجرها فلا يميل إليها ؛ وبجانبها فلا يهفو نحوها ، ويحتقرها فلا يرعى حقها ، ويراقبها فى دقة خشية أن تتمادى فى الغواية أو تندفع فى الطيش ، ثم يكتم الخبر فى نفسه لا يحدث به أحداً ولا ينشره على أبيه . ولا بد أن يعلم صاحبك أنه إن طلق زوجته تناثر الخبر ولاكته ألسن فى القرية فيها الحفيظة والغيظ ، وبالته شماتة القريب وأصابه تهكم الغريب . وإذا بلغ أبناؤه مبالغ الرجال وجدوا من يعيرهم بمأجنته الأم فيحسون مس الذل وعار الخطيئة ، وتعمل فى نفوسهم عوامل متضاربة تقتل فيهم هبة العقل ، وتنزع عنهم دوافع السمو ، وتخلع عنهم أسباب الترفع . ويعيش الواحد منهم عمره وفى خياله الجرم الدنىء يلاحقه فيضيق بالحياة ويضيق بالشرف ، وقد تسول له نفسه أن ينتقم من مجتمع جاهل أحمق حمله عبء جناية لم تقترفها يده .

وإذا بقيت الأم فى الدار لم يتناثر الحديث ولا تطايرت ريبة ولا شاع شك ، فيحفظ الزوج — إذ ذاك — على نفسه عزتها ؛ ويبقى على الأولاد حنان الأم ، ويجنبهم مرارة اليتم ، ويوقيهم لذع الضياع .

ولست أنصح بأن يتزوج مرة أخرى لأنه إن فعل جمع على نفسه همين وضرب نفسه بالضرتين وقتل عقله الشك فى المرأتين . وإنه ليتراءى لى أن صاحبك لن يطمئن إلى امرأة من بنات حواء بعدما عانى من خيانة الزوجة . فلا مندى له — إذن — من أن يعيش زوجاً كالعزب أو عزباً كالزوج يستعذب الوحدة فى سبيل رضا أولاده ، ويستمرىء النأى عن النساء خيفة أن تتناهبه الظنون وتتوزعه الشكوك .

...

وافتتحت الآنسة « مجهولة » بطرابلس — لبنان ، رسالتها بعتاب حاد تقول فيه !

... وأعجب العجب أن تبحث مشكلة المرأة فتستفتى القراء وحدهم دون القارئات على حين أن لمجلة « الرسالة » قارئات من ذوات العقل والرأى . والمرأة فى مشاكل الدار رأى لا يتخلف — أبداً — عن رأى الرجل ، وللسيدة فى مسائل الأسرة عقل يسمو — غالباً — على عقل الرجل . ولكن لاعتب عليكم ، فأنتم — أيها الرجال — ما زلتم تنظرون إلى المرأة بعين الاحتقار ظناً منكم أنها تخلفت عن الركب فلا تستأهل أن تجاذبكم الرأى ولا أن تناقشكم الفكرة ، ميراث أورثتموه — منذ زمان — فتدفق فى دمائكم وعز عليكم أن تطرحوه جانباً لتواجهوا الحقيقة التى تتبدى لكل ذى عينين . ولا ريب عندى فى أن المرأة العصرية هى والرجل على سواء واحد فى سعة الأفق وأصالة الرأى وحصافة العقل .

ثم راحت تدافع عن الزوجة الخائنة دفاعاً حاراً عنيداً يتراءى من خلاله التعصب الجارف للجنس ، فقالت : وليست المسألة هى قضية الشرف والكرامة و ... مما نسمع من كلمات رنانة طنانة تستهوى القلب وتستميل الأذن ، ولكنها قضية زوجة صحبت زوجها سبع سنوات ثم تصبح — فى لمحة واحدة — طريدة تتلقفها الشوارع فى غير رحمة ، ويتجاذبها الذئاب فى غير هوادة ، وهى قضية صغار زغب الحواصل يفتقدون — على حين فجأة — حنان الأم ونور السعادة فى غير ذنب ولا جريرة .

ولا عجب أن تلقى اللوم كله على الزوجة وحدها حين خانت زوجها ، لأنك رجل . أما أنا فلا أبرىء الزوج مما اقترفت زوجته

الإسلام

في ضوء البحوث النفسية الحديثة

— ٢ —

للدكتور محمد المهدي

أستاذ الفلسفة الاسلامية بكلية أصول الدين

وليست وحدة الله في الأسلام هي وحدها أمارة هنا على رقي الاسلام — جريا على مقاييس الرقي التي وضعها الباحث النفسي استنباطا من الموازنة بين الطفولة الانسانية والبلوغ الانساني — بل مطالبة الاسلام كذلك بوحدة الجماعة الانسانية عن طريق محو الفوارق ، أو إضعافها على الأقل ، التي توزع الناس إلى شيع وطوائف ، سواء أكانت هذه الفوارق تتصل بالجنس والقبيلة أو بالعوامل الجغرافية أو الاجتماعية أو الثقافية ... أو غيرها . إذمن لوازم خصائص إدراك الطفل — وكذا الانسان البدائي — على نحو ماأشرنا من ارتباطه بالمحسوس تقيد صاحبه بالمحسوس الذي في محيطه ، لايوليه الأفضلية فحسب، بل يهبه مزايا الوجود كله ، إذ الوجود في واقع الأمر عنده هو ذلك المحيط الذي يعيش فيه .

وعلماء الاجتماع — بالقياس على هذا — يصفون شعبا من الشعوب بالبدائية إذا كان متكونا من طوائف أو قبائل تقف كل طائفة أو كل قبيلة عند حد وجودها الخاص لا تتجاوزه إلى مافوقه من معنى الوطن أو الدولة ، إذ الإدراك عند مثل هذا الشعب لم يخترق بعد تلك الحجب الظاهرة التي جعلت منه طوائف أو قبائل .

٢ — الوجدان :

تتجاوز الآن الجانب الأدراكي للانسان في مرحلة طفولته الأولى إلى جانبه الوجداني . نراه في هذه الناحية أيضا يقف عند حد المحسوس : فانفعالاته التي تتنوع إلى لذة وألم ، والتي يعبر عنها مرة بالبشر والتهلل أو الضحك كثيرا وأخرى بقبض أسارير الوجه والحزن أو البكاء كثيرا ، ترجع إلى مايدركه مما حوله إدراكا حسيا فحسب: فهو يفرح بلون الدمية التي يلعب بها لا بقيمتها الذاتية ، ويتودد لزميله في ليونة وبشر ليلعب بلعبته أو ليفوز بها لا بما يدركه في الزمالة أو الصداقة من معنى يربط أحد الزميلين بالآخر ويجعل كلا منهما يسر للقاء الآخر أو التحدث إليه . وهو يحزن — وكثيرا مايبكي — عند مفارقته لزميله ولكن ليس لما يوجبه معنى الزمالة عند الفرقة بل لفقده لعبة الزميل التي كان يلعب بها في حضرته .

فإن في كثير من الأزواج حالات تدفع الزوجات كارهات إلى أن يرتدعن في حمأة الرذيلة .

أما قولك إن المرأة المتعلمة كالثعلب فرأي تنزّى عن الحقيقة ، لأن العلم دريئة تتقذ المرأة — دائما — من حبائل الرجل، وعزة تسمو بها إلى الترفع والإباء ، وحصن يحميها شر المكيدة الخادعة . وأنت تعلم أن المرأة المتعلمة صعبة المراس شديدة الحفاظ على حين أن المرأة الجاهلة سهلة المكسر ليّنة المجس .

والرأي عندي أن يصبر الرجل فستجبر الأيام الكسر وترأب الصدع ، وعلى الزوج أن ينصح الزوجة في هدوء وبأناة في رفق ثم يسدل على الماضي ستاراً كثيفاً من النسيان . ولا ريب عندي في أن الزوجة ستسعى جهدها إلى مرضاة الرجل وتتوب عن الغي وتستغفر عن الزلة، ثم تبدأ حياة جديدة فيها الاستقامة والاستقرار وفيها الإخلاص والوفاء .

• • •

وكتب الأستاذ عمر عودة الخطيب رأيه في العدد ٨٦٩ من «الرسالة» وهو ينتهي إلى ما انتهى إليه من قالوا بفراق الزوجين

• • •

وقرأ صاحبي ما كتب أصحاب الرسائل ، فنظر إلى نظرات ثم أطرق وقال وكأنه يحدث نفسه ... فاذا قال ؟

كامل محمود حبيب

تستهويه الحلوى ولكن لا يغريه التبشير بالجنة ، ويخيفه العقاب المادى كالضرب أو الحرمان ولكن لا ترهبه الخشية من الله . فرحه وتألمه إذن لما يبدو من الشيء لا من ذات الشيء وجوهره :

(ا) فوجد انه مادى ، لا يثيره إلا ما هو مادى . ولذته وألمه ما ديان مرتبطان أشد ارتباط بالشيء المـــادى ؛ بما يرى فيه ، أو يتذوق منه ، أو يلعب به ... الحصول عليه يسبب لذته والحرمان منه يسبب الألم عنده .

حياته هى فى الأكل والشرب والاستمتاع بالمتع الحسية . لا يعرف من الحياة إلا لونا واحدا هو هذا اللون . أما انقسام الحياة إلى دنيا وعليا ؛ إلى رخيصة وسامية ؛ إلى حياة الماديات وحياة المثل والمعنويات فلم يدركه بعد . لم يصل بعـد إلى لذة معنوية وشقاء معنوى .

(ب) كذلك يغلب على وجدانه طابع التطرف وعـــدم الاعتدال : فكثرة حركة الطفل ونشاطه فى هـذه الحركة عند الفرح ، وكثرة بكائه أو شدة صياحه عند الشيء المخيف المرعب تعبر عن هذا التطرف فى درجة الوجدان فى هذه المرحلة .

والانسان البدائى كذلك يثيره من الشيء مظهره المادى : يندفع نحو كبير الحجم أو بارق اللون فى بشر وسرور ، ويبكى إن لم يول هربا مما لم يعهده من قبل .

لا يعرف الجزاء بنوعيه إلا المادى منه ، ولهذا يسير المستعمرون بالجهات المتأخرة فى الحضارة فى معاملة أهل مستعمراتهم من البدائيين طبق هذه الحقيقة النفسية : فإذا أنعموا على إنسان منهم أنعموا عليه بزاهى اللون أو عظيم الحجم مما يلبس أو يؤكل . ونرى لذلك أن أكثر هداياهم إلى الزعماء هناك عبارة عن تيجان من الزجاج الملون يجمع بين كبر الحجم وبريق اللون . كما أن عقابهم ينحصر فيما يؤلم ألما ماديا كالضرب أو الحرمان من الأكل مثلا . أما قائمة الشرف وكذا القائمة السوداء مثلا فلا تعرفان كضربين للجزاء عند البدائيين .

وعبادة هؤلاء — والعبادة مظهر من مظاهر الوجدان — [1] تتمثل فى تقديم القرابين المادية لمعبوداتهم مما يؤكل أو يشرب فى بيتهم عادة . بل أساس تخيرهم للمعبود نفسه مادى أيضا ، هو إما نفع مادى أو ضر مادى . وقد — العالم الماني — فى كتابه علم النفس للشعوب يذكر أن الصدفة وحدها هي السبيل الأول لتعيين الآلهة فى الديانات الوثنية . على معنى أن — حادثا ما يقع صدفة للفرد أو الجماعة من الناس فى مكان معين او عند شيء معين فيصبح هـذا الحادث السبب فى عبادة الفرد أو الجماعة لذلك المكان المعين أو لهذا الشيء المعين ، إما ترقبا لمنفعة منه أو طلبا لدفع مشقة تصدر عنه ، على حسب نوع الحادث الذى وقع :

فالصحراء كانت تعبد عند قدماء المصريين رجاء أن تدفع عنهم غضبها ، وهو تلك الأتربة التى كانت تثيرها العواصف فتتلف الزرع أو تتلف الضرع . و « النيل » كان يقدس منهم كذلك حتى لا يتخلف عنهم خيره من ماء وطمى . والصدفة وحدها هى التى جعلت من قدماء المصريين عبادا للصحراء — والنيل ، وهى أنهم استوطنوا هـذه الرقعة من العالم فارتبطوا فى حياتهم المادية بهما . بدليل أن غيرهم من الشعوب القديمة ممن سكنوا بقاعا أخرى — فى آسيا مثلا — لم يعرفوا عبادة النيل والصحراء ، ذلك لأن حياتهم المادية لم ترتبط بهما يوما من الأيام

وعلى نحو ما رأينا من عدم الاعتدال فى وجدان الطفل يسيطر على وجدان البدائى طابع الغلو والتطرف كذلك : هو كثير القهقهة إن سر بشيء ما ، كثير النواح والصياح إن تألم من شيء ما . إن أقبل فى غير احتياط ، وإن ولى فى غير احتيـاط — أيضا . كثير الشكوى قليل الصبر على ما يؤلمه ، كثير الزهو قليل الاتزان فى نشوة فرحه .

لكن الاسلام لم ير الحياة ذات لون مادى فقط ؛ بل جعل أسمى نوع من المتعة واللذة فى رضا الله ، وأقسى نوع من العقاب فى غضبه .

---

(١) « الله أنزل الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ... » سورة الزمر آية ٢٢ .

الأسلام عاب الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة ، ولم ير البر فى أن تتجه الوجوه قبل المشرق والمغرب ولكن فيما وراء ذلك من الأيمان بالله واليوم الآخر ... إلى آخر ما جاء فى الآية الكريمة : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة ...

ورسول الله محمد بن عبد الله عليه السلام كان إذا ضحك ابتسم ولا يقهقه ، وإذا بكى — كما حصل عند دفنه لولده ابراهيم — دمعت عيناه فقط.

يطلب القرآن الكريم من المؤمنين عدم الجزع والهلع عند المصيبة بقوله : « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين [1] » وفى قوله جل شأنه . « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون [2] » فجعل علامة الإيمان بالله — وهو دليل النضج الانسانى والبلوغ العقلى كما سنرى — الاعتدال فى الوجدان وعدم التطرف فيه إن فى حالة الألم أو فى حالة اللذة .

٣ — الصلة بالعالم الخارجى :

وإذا انتقلنا من دائرة الوجدان بعد الادراك فى حياة الانسان فى مرحلة طفولته الأولى إلى صلة هذا الانسان بالعالم وجدنا أنه يغلب عليه فى هذه الصلة طابع الذاتية والأنانية

فـ « أنا » ، هذه الذات ، هى الدافع لكفاحه فى هذا العالم وهى هدف هذا الكفاح فيه . يركز كفاحه فى الحصول على ما فى محيطه لنفسه فحسب ، ويحاول بأسلوب وبآخر أن يمنع الاشتراك فيما يحصل عليه ولو كان مع من هو مصدر الأعطاء من أب أو أم مثلا .

ولأنه لا يستطيع أن يدرك غير هذا العالم الحس فأهدافه التى يحاول أن يبلغها فيه لا تتجاوز ما يحس منه كذلك . لا يسعى إلى تحصيل المال الرفيعة ؛ لا يسعى إلى تحصيل الفضيلة والقيم الاخلاقية . لا يسعى إلى التضحية فى سبيل الغير لأنه لم يعترف بالغير بعد . لا يسعى إلى أداء الواجب نحو الجماعة لأنه لم يدرك معنى الجماعة الآن . لا يعرف معنى الزهد ، فضلا عن أن يسعى لتحقيقه . قد يعاف الشىء ولكن لا يزهد فيه .

و أ ه الا ان البدائى العامل فى هذه المرحلة الأولى من مراحل تطوره . لا يعرف البدائى أيضا حدودا لمطالب نفسه ، ولا دافعا فى الحياة غير ذاته ذاته كل شىء ، وكل شىء فى الوجود هو لذاته . إن عبد فلما يعود على ذاته الخاصة من نفع أو اتقاء لما يقع عليها من ضرر . وإن حارب فللغنيمة ، وإن هرب من الحرب فلا نقاذ حياته . وإن صادق أو عادى فلمنفعة فى المصادقة أو المعاداة .

لا يعرف معنى الوطن فيفديه بالنزول عن بعض ما يملك أو بأجهاد نفسه فى سبيله . وما دام لم يعرف الوطن أو الجماعة فتركيز كفاحه لتحقيق مطالبه الخاصة لا ينشأ عن أختيار منه ، حتى كأنه آثر نفسه على وطنه أو جماعته عندما تراه يكافح لذاته فقط ؛ بل ذلك عن غير إرادة منه يدافع اضطرارى من ذاته . إذ الاختيار إنما يكون عند الموازنة ، والموازنة لا تكون إلا بعد إدراك لشيئين فأكثر . كأن يدرك أن له ذاتا ، وأن هناك غيرها فى العالم من الجماعة أو الوطن ، وان هناك علاقة بين ذاته وبين هذا الغير تقوم على أداء واجبات نحو هذا الغير وأخذ حقوق من هذا الغير . ولكنه لم يدرك بعد أنه « منفصل » فى هذا العالم وفى بيئته ، إذ لم يزل يرى أن كل ما فى الكون هو ، وأن الكون لا يتعدى ذاته .

وعلى هذه الحقيقة النفسية عند البدائيين تقوم سياسة الغربيين المستعمرين فى عصرنا الحاضر . يلبون المطالب الشخصية للافراد ، ويقسمون الرقعة الضيقة الواحدة إلى سلطنات أو إمارات وولايات ، ويساعدون رؤساء الأمارات أو السلاطين على تحقيق رغباتهم التى لا تنتهى ولو كانت عبئاً على الصالح العام ، ويمنون فى ذواتهم وأشخاصهم معنى الزهو والخيلاء بما يضمونه تحت تصرفهم من

---

(١) سورة البقرة آية ١٥٣ (٢) سورة البقرة: ٢٢ ، ٣٤

مفاتن هذه الحياة . حتى لكأنهم لا يسمعون من الواحد منهم إلا ترديده : أنا ! أنا ! في كبرياء أجوف تجاه الوطنيين فقط .

وعن هذا الطريق السهل الذي لا يكلفهم شيئا يأخذون ما ينفق فيه المستعمر عرقه أو ما تزهق في سبيله نفسه من غلات الحاصلات الزراعية والمعادن المستخرجة من أرض الوطنيين المستعمرين.

لكن الإسلام نادى بمراعاة الجماعة وجعلها في المرتبة الأولى إذا تعارضت مع مصلحة الفرد . فرض على الفرد واجبات نحو نفسه ونحو جماعته ، وجعل مبدأ : « أن لا ضرر ولا ضرار » شعاراً لتعرف هذه الواجبات . بل أكثر من ذلك بالحرص على الجماعة ورعايتها رغب المؤمنين في أن يضحوا بما لهم من نفس ومال وولد في «سبيل الله» . وليس سبيل الله إلا إعزاز الجماعة . إذ القربى إلى الله هي المشاركة في إسعاد الغير عن طريق تخفيف آلامه واطمئنان نفسه : فالنصيحة للغير قربى ، وبذل المال له قربى ، ودفع الضرر عنه قربى ، وستر عرضه قربى ، والقول المعروف قربى ، والتسرية عن نفسه قربى .. وهكذا . وكلما تعاون الفرد مع الفرد ورأى أن من وجوده وكيانه وجود الآخر واستقراره تقوت الجماعة ، إذ أنها حينئذ تكون كالبنيان الذي يشد بعضه بعضاً .

الإسلام نصح بالزهد في هذه الحياة . وليس الزهد إلا وضع حد بين مطالب الذات ومطالب الغير . ليس إلا وضع نهاية لرغبات الذات . ولذلك كان كفاحاً لتلك الرغبات . هو كفاح رجعي يتجه نحو الذات نفسها بعد أن طغت مطامعها وزاد جشعها في عهد الطفولة الإنسانية ، وقد يمتد أجلها سنوات في حياة الإنسان .

وإن شئنا قلنا إن الزهد هو تحويل الكفاح في الإنسان من الدائرة الانفرادية أو الأنانية الأولى إلى الدائرة الجماعية . ليس الزهد عبارة عن موقف سلبي في الحياة وتعطيلاً لقوة الكفاح والسعي في الإنسان ، فقد كان محمد بن عبد الله زاهداً وكان مع ذلك في مقدمة المكافحين .

٤ — السلوك :

وإذا تركنا هذه الظاهرة النفسية التي ذكرناها الآن كإحدى ظواهر الطفولة الأولى للانسان إلى الحديث عن سلوكه في هذه المرحلة وجدنا طابع الوقتية من جهة والتقليد من جهة أخرى يسيطران على هذا السلوك :

(ا) ينتقل الطفل في هذه المرحلة بسرعة من حال إلى آخر . لا يلبث تمسكه بالشيء طويلا ولا يبقى إعجابه فترة زمنية واضحة ، كما لا يستمر تألمه من الحرمان وبكاؤه على فقد الشيء طويلا كذلك . يقبل البدل والعوض في يسر وفي سرعة لكن بشرط أن يكون هذا العوض أكثر إغراء له بكبر حجمه أو بكثرة لمعانه أو بشدة تفاوته في اختلاط الألوان الزاهية ، وإن كان ضعيف القيمة أو قليل الجودة .

لذا ينعدم الايمان بشيء هنا في هذه المرحلة . وبالتالي لا يوجد كفاح من أجل العقيدة أو المبدأ . إذ مأخوذ في طبيعة الايمان أنه ليس التصديق فحسب ، بل الاستمرار فيما يصدق به الانسان . وتختلف درجات المؤمنين لذلك حسب تفاوتهم في هذا الاستمرار لا حسب التصديق والاقرار .

الثبات على الشيء أو على المبدأ ميزة الرشيد من الانسان . والتحول عن الشيء ميزة الطفل في طفولته الأولى أو ذلك الانسان البدائي ، وهو ذلك الذي لم تكتمل إنسانيته بعد . . .

سبب ذلك أن العالم مشحون بالمحسات أو الماديات والطفل مرتبط بما هو مادي محس أيما ارتباط لا يستطيع الانفكاك عنه إلى الآن . فهذه المادية اللانهائية للعالم لا تخلو من مغريات كثيرة تشغله في صحوته ويقظته ، وهو منجذب نحو آحادها لا يلبث عند واحد منها إلا بمقدار ما يجذبه الآخر .

أما الرشيد فقد استطاع أن يقف على قدميه في هذا العالم يتخير منه ما يريد . إن أقبل على شيء ما أو أدبر عن شيء ما فمن إدراك فتصميم . لاختياره سبب وعلة . فهو يقف عند ما اختار ، مادام سبب الاختيار قائما في نفسه . وقلما يتغير السبب إذا كان عن تفتيش وروية — شأن من بلغ بلوغاً عقليا — .

(ب) كذلك يخضع الطفل في سلوكه لعامل التقليد : يخالف اتجاهه السابق في السير تقليدا لمن هو أكبر منه . لا يستطيع الاجابة عن سر تحوله سوى أن فلانا — الأب أو خلافه — هكذا صنع : .

والبدائى لا يختلف عنه فى سلوكه : يتميز بكثرة التحول والتنقل ، ثم باتباع التقليد فيه . لا يطول عجبه ولا تطول صداقته وزمالته . لا يستمر حزنه وبكاؤه ، يضحك ومازالت الدموع فى مقلته أو على خده . صديقه بالأمس عدوه اليوم .

يأتى من التصرفات ما يناقض بعضه بعضا . ولو فتشنا فى سبب تناقضه وجدناه التقليد فيما أتى به .

وما علانا به سلوك الطفل هناك هو ما نعلل به سلوك البدائى هنا . كلاهما فى هذا العالم كمن وقف فى مهب الريح ، يدفع فى سيره دون أن يستطيع اختيار اتجاه معين . إن بدأ فى السير لا يعرف متى يقف ؟ وأين يكون

والاسلام إن قام على دعائم فالايمان أولها فى نظره . لا لأنه أساس يتفرع عليه غيره من مبادىء أخرى ؛ بل لأنه فى الواقع الفيصل فى الحياة الانسانية . هو أمارة على انتقال الانسان من مرحلة أدنى إلى أخرى أرقى منها فى تطوره .

لم يبن الاسلام على المؤمنين به وحده لايمانهم ؛ بل احترم كذلك أهل الكتاب ممن لم يحرفوا الكلم عن مواضعه . أما غير أهل الكتاب من الوثنيين ، أما أهل الكتاب الذين يدلوا دين الله فهم أمامه سواء فى عدم انتقالهم من حال الطفولة الانسانية إلى حال الاكتمال والرشد الانسانى . لا يحق لهم إذن عهد ولا ذمة .

الاسلام إن شاد بالايمان فاشادته بذلك الايمان الذى جاء نتيجة الروية واستقلال الفكر ووليد النظرة الحرة ، لا ذلك الذى أساسه التقليد . « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » (١) . يريد من الايمان ذلك الذى هو عنوان الرشد الانسانى .

أما الاقرار نتيجة التقليد فهو بالأحرى أمارة الطفولة ، لا يلبث صاحبه أن ينتقل مما أقر به أولا إلى الاقرار بشىء آخر تدفعه إليه مغريات العالم ومفاتنه الظاهرة .. « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » (١) . أولئك هم البدائيون فى الانسانية ، هم أطفال ولو بلغوا الحلم .

٥ — الحكم والتقدير

ومما يتصل بهذا الجانب النفسى الذى عالجناه الآن — وهو السلوك الانسانى فى مرحلة الطفولة الأولى — جانب آخر له أهميته وهو طابع الحكم وأساس وزن قيم الأشياء عند الانسان فى هذه المرحلة أو من هو شبيه له .

(ا) يغلب على حكمه طابع التذبذب والتردد ، لأنه فى حكمه على الشىء يتبع ما يدركه من ظاهره وظاهر الشىء دائما متغير فى نظره : فبينما يقدر الشىء للونه إذا به ينفر منه لمذاقه . وبينما يقبل على والده أو أمه بالتقبيل — إن أخذ من أحدهما قطعة من الحلوى مثلا — إذا به يثب بالضرب على من يناديه منهما للنوم أو يدعوه للهدوء والسكينة .

هو لم يختبر بعد ما نال اعجابه أولا ثم نفر عنه ثانيا ليقف على شىء ثابت فيه ، وهو ماله من حقيقة وكنه حتى يكون الحكم عليه مرتبطا بماله من هذه الحقيقة . ولم يعرف بعد أيضا فى أبيه معنى الأبوة وفى أمه معنى الأمومة حتى يربط تقديره لأحدهما بذلك المعنى الباقى فيه .

(ب) ولم يستوف فى وزنه للشىء عناصر التقويم فيه ، إذ الجزء للشىء يعبر عن نفس الشىء فى تصوره وإدراكه — كما ذكرنا ذلك أولا — .

فتقويمه إذن للشىء تقويم له بجزئه ، وبجزء تأثر به هو ، وقد لا يكون من مقومات ذات الشىء : فكراهيته لأنسان لأنه أدرك فيه مغايرة البشرة لما ألف رؤيته من الناس ، وحبه لانسان لأنه أعطاه ما يهواه لا يتصل ذلك بتقويم الانسان بما هو به إنسان .

هنا تتقدم الثقة العامة بأحكامه وتقديراته ، لأن أساسها متغير وسريع فى تغيره كذلك .

---

١) سورة الحجرات آيه ١٥ .

١) سورة البقرة آيه ١٧٠

الشاعر العاصي...

الأستاذ محمد محمود زيتون

ولد أحمد العاصي — رحمه الله وغفر له — بفارسكور في صيف سنة ١٩٠٣ وكان أبوه من كبار التجار فيها ، وماتت أمه ، ولم يتجاوز السادسة من عمره. ولقد بدت على الغلام بشائر النبوغ ، فعني به أبوه ، حتى ألحقه بكلية الطب ، وما زال يحصل دروسه حتى انتابته حالة عصبية ، وهو في السنة الثالثة ، فقضى بلبنان ثلاثة أشهر عاد بعدها خفيفاً من بعض ما جثم على نفسه .

ولما بدأ العام الدراسي عدل عن الاستمرار بكلية الطب ، والتحق بقسم الفلسفة بكلية الآداب ، وقرأ « تأملات ديكارت » على الفيلسوف الفرنسي لالاند ، وراقته الدراسات الفلسفية

لهذا جد العاصي في أن يعوض ما يبه بالانطواء على نفسه ، ملء حتى الحديث بل صار يحيا في حياة كأنه في منيب

ولاسيما خلود الروح والتفاؤل والتشاؤم ، والموت والحياة ، وفي أيام الدراسة وضع رواية «غادة لبنان» ثم نشر «ديوان العاصي» سنة ١٩٢٦ ، ولما حصل على الليسانس سنة ١٩٢٩ عين موظفاً بالجامعة المصرية (جامعة فؤاد الأول)

كان العاصي مثال الشخصية المتناقضة، فإذا ضحك أضحك حتى لتكاد الجمادات يضحكن معه ، وإذا حزن ضاقت عليه الدنيا بما رحبت ، واسودت من حوله الحياة ، فغلبت عليه نزعة النفور ، وتمكن من نفسه الشعور بالنقص ، ولا سيما أنه كان قميئاً خفيض الصوت لا يكاد يبين . يقول عن نفسه :

ابن عشرين عذبته الليالي ... وأطاحت بعزمه المشبوب
لم يذق لذة الحياة ولكن ... ذاق أنواع قاصمات الخطوب
ساهم ساكن معنى مروع ... في شباب مقنع بمشيب
إن تحدثه قد يجيب بصمت ... أو بهمس أو شارة أو دبيب

وتقديرات الانسان البدائي ، وإعطاؤه القيم للأشياء لا يتفاوت في الطابع والأساس عما يعرف للطفل في مرحلة طفولته الأولى من التغير وعدم الثبات :

يجري في التقدير وراء ما يتصل بأنانيته أو ما يدركه من ظواهر الأشياء دون ما يتصل بذات الشيء وجوهره . يبدو ذلك في تصرفاته المتقلبة — كما رأينا — .

لا يعرف مقياسا عاما في وزنه وتقديره لأنه لم يهتد بعد إلى الحقائق . وقلما يصل إلى حكم استوعب فيه عناصر الحكم الصحيح عند الرشيد .

لكن الاسلام طلب أن يكون التفتيش والاختيار والروية أساس الحكم : يقول تعالى مخاطبا المؤمنين : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » (١) . ويقول مخاطبا رسوله الكريم : « وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون (١) » . فلم يرض أن يكون الظاهر المدرك لأول وهلة أساس الحكم ثم العمل والتصرف .

ه ه ه

وهكذا في كل جانب من جوانب الطفولة الانسانية — في الطفل في مرحلته الأولى أو في الانسان البدائي — لو وقفنا على مظاهره وعرفنا بطريق المقابلة بظاهر الرشد والنضج العقلي وجدنا الاسلام يمثل منتهى الرقي حسب معايير الانسان . ومع ذلك ليس من صنع انسان كامل ، لأن هذا الإنسان الكامل لم يكن حقيقة واقعة ولم يزل بعد فكرة ، وسيظل فكرة ومثالا فقط . الاسلام وحي من الله الذي هو فوق التجديد الإنساني ، إذ هو سر الوجود وسيبقى سر الوجود ما دامت السموات والأرض ، وما دام الإنسان يعيش ويبحث (٢) .

محمد البهي

---

(١) سورة الحجرات آية ٦ .

(١) في سورة المنافقين آية ٤

(٢) من محاضرة ألقت في معهد التربية العالي بالاسكندرية في مساء ٢٢ فبراير الماضي ١٩٥٠ .

ومداومة الاطلاع. وزادت ظروفه العائلية من حدة نفوره من أبيه الذى تزوج من غير أمه بعد موتها ، وهجر أخويه واعتزلهما وأقام بالقاهرة .

وكان لشيشرون أثر قوى فى تسعير جذوة نفسه : قرأ كتاب « كتاب روما Writes of Rome » وأخذ يقرأ فى صمت عن الموت حتى لقد كان يضع خطاً بالقلم الأحمر تحت كل كلمة « الموت » فى الكتاب .

وبعد أن غمرته هذه الدراسة السوداء كتب خطاباً على الصفحة الأولى من الكتاب قال فيه « إلى من يهمهم أمرى : جبان من يخشى الموت ، ومن لا يرحب بهذا الملك الكريم الذى هو لى كالرائحة الزكية ... أحمد العاصى »

وتملكته فكرة الانتحار ، فلم يجد عنها مصرفاً ، حتى إنه كان يفكر ويمعن لا فى العدول عن الانتحار ولكن فى اختيار أيسر السبل إليه ، وأخفها وطأة عليه . وقف على كوبرى عمد على ذات مساء ونظر إلى الأمواج ، واستحب أن يلتف بها ، ويحتضن الموت ، ولم يكد يهم بذلك حتى راجعته سيدة إفرنجية كانت تتمشى ساعتئذ خلفه ، فعدل ولكنه آثر الموت عاجلا أو آجلا ، فأوى إلى فراشه وبخع نفسه بعادة كاوية ظلت تحرق حجرة نومه من الساعة التاسعة صباحاً حتى الخامسة من اليوم التالى حيث اندلعت ألسنة الدخان من خلال النوافذ ، ولم يكد المارة يقتحمون المنزل حتى رأوا هيكلا بشرياً صار هشيما .

وهكذا آثر الموت الزؤام على الحياة الباسمة ، وافى ربه سنة ١٩٣٠ . أما شعره فكان مرآة هذه النفس الجانحة الجامحة ، وهو يمهد لديوان شعره بهذه العبارة الصريحة : « أنت يا محنة من محن الدهر ألزمتنى العزلة حيناً فشعرت بحاجة حادة لأن أشغل نفسى بقول الشعر فيما شغلنى من شئون الحياة من قبل ... » وصدر له ديوانه أمير الشعراء أحمد شوقى بك بأبيات منها :

هذا شباب السحر يلمح ماؤه من جدول (الماضى) ومن ديوانه

ويقول منها :

ويكاد يلمسك السرور يراعه وترى يد الأحزان حول بيانه
يشكو الزمان لنا ، وبالك يافعا نامت بمهمته هموم زمانه
ولتعلمن إذا السنون تتابعت أن التشكى كان قبل أوانه

وهذا الشاكى الذى فارق الحياة غير آسف عليها ، ولم يبلغ السابعة والعشرين ، عاش نهباً للألم الدفين ، واليأس اللافح ، وكانت أضالعه مرجلا للصراع العاطفى العنيف ، وأبواب ديوانه صورة من ذلك كله ، فتمت باب الأدب ، ويشمل ما قال من شعره فى عهد الاطمئنان — كما يدعى — وماهو بالاطمئنان وباب النقمة ، ويشتمل على ما قاله فى عهد المحنة والتبرم بالحياة ؛ ثم باب الغزل والفخر وفيه شعر المدح وتشريح الهم ؛ ثم باب لفتتعرفات من الشعر الذى قاله فى أوقات متباينة ، وختم ديوانه بمأساة هو بطلها وسماها « قصة الموت »

قرأ صاحبنا للفلاسفة القدامى منهم والمحدثين ، فأوغل فى الأعماق متدبراً متفكراً علّه يثوب إلى نفسه التى افتقدها ، ولكنه راح يتمجل « سر الحياة » فارتد عن حجابه الكثيف ، لايدرى غير شىء واحد هو أننا :

نحن نسعى فى فلاة ، لا نرى غايها والكل يغرى بالسراب

وأن الناس نوام فإذا ماتوا انتبهوا ، وعلى الناس أن يعودوا من حيث جاءوا ، هكذا يدعوهم العاصى :

يا بنى الأرض إن منها نشأتم فارجعوا حيث كنتم فى أمان

ويمضى الشاعر يفلسف الحياة وخداعها ، وعبث الناس فيها ، والمنى التى من دونهن المصاعب ، وحقيقة الإنسان ، وما أوتى من عقل يتباهى به الناس ، وإن لم يكن فيه شفاء من جهالة ، ثم يتهكم بهؤلاء الذين يتحدثون عن الآخرة :

يا صاحبى لقد تحدث بعضهم عن عيشة أخرى وعن أخبارها
لله درهمو ، فهل قد جاءهم يا صاحبى البعض من زوارها

وينقلب بعد ذلك على الإنسان شيخ الجاحدين :

خير هذى الأرض يسعى نحوه وهو مازال زعيم الناقمين

ويعاود التفكير فى سر الحياة الذى لن يدركه الإنسان إلا أن يترك هذا العالم المسترذل :

نحن سر فى الدهر ، والدهر سر هوعنا مستر محجوب
نحن فى العيش كلنا ككرات قذفتها — كما تشاء — الخطوب

لهذا صار عبداً للذات ، وبمحرابها سيضحى ويمسى ، فلئن سألته كيف استعبدته اللذة أجاب :

ضقت بالهم فانتقمت لنفسي بالملذات من هموى وبؤسى

وهكذا قهره الدهر ، فانتهب اللذة ، وانتقم لنفسه مما ترزح تحته من أرزاء ، فوجد فى النسيان ما يباعد بينه وبين مواقع الصراع .

غير أنه يتمسح بالزهد فيها ، وكبرياء النفس ، ويقول :

حسبكم ماسد جوعاً أو صدى أو فيكم عاجز عن ذا وذاه

كل أطماع الفتى من عيشه ضلة أوقمـــه فيها هواه

وهو إذ يبذل هذه النصيحة يزجى بين يديها خبرته بالحياة :

لقد فعل الخير فصار بخساً ، وطاب العلم فهان فى نظر الناس

ويتأثر العاصى بأفلاطون فى نظرية المثل حيث كانت النفس خيرة فهبطت إثر الخطيئة إلى عالم الرجس والفساد بعد أن « كانت الدنيا صفاء خالصاً »

وتمضى هـذه العاصفة التى زعزعت من خواطر العاصى ، وتغلغلت أصداؤها فى قرارة حسه حتى إذا هدأت قليلا، اطمأنت نفسه بالإيمان فقال :

آية الله بدت فى خلقـــه فى جمال نحن فى الدنيا عبيده

وفى قصيدة أخرى عن الإيمان أيضاً يدعو إلى التذرع بالقوة ، ويعيب على القائلين بأن الزمان رمى فلاناً « فماذا للزمان وللنزال » وجدير بهم أن يعترفوا بضعفهم وعجزهم من ملاقاة الهموم المتوالية . ولكن يخفف همنا هذا التوالى » وخير من لوم الدهر أنا نضرع إلى الله .

ما شاء الله ! هذه لمحات الإيمان تنبثق من لحظة إلى أخرى على الشاعر المسكين ، ولو أنها وجدت إلى جواره الصديق الطبيب لعاد حسه المرهف على الأدب والحكمة بأسمى المثل ، ولشفى أنفس الناس ونفسه مما يجد ويجدون

وفى قصيدة « الإقدام » التى يمتحهامن أعماق اللاشعور ، يحث غيره على المجد والمعالى بينما يزجى نفسه إلى الموت فى عجل ، وكأنى به يتخيل نفسه حين يقول :

« والمرء فوق فراش الموت منطرح »

ثم يقول راضياً عن الأيام ، منتظراً الرحيل فى الأبدية :

دعنى أقضى بها عهدى وأرحل من دهر لدهر ، وإن العمر أجيال

ويقول مرة أخرى فى سر الحياة :

وإذا الموت أتى فاستقبلوا ركبه ، وليهن فيكم من يراه

وهو يستوحش الناس ، ويدعو إلى اعتزالهم لما يتباينون فيه من الأحكام على الأشياء والأعمال ، ويقول :

رب أمر خلته حقا وقد خاله الناس حكيما ومصيباً

رب فعل أنت تأتيـه لكي تطرب الغير فتلقاه غضوبا

رب رأى كان عذباً ناضـجاً عد من يأتيـه خداعاً كذوبا

فلتخل الناس يحيون كما قد أرادوا ولتعش فيهـم غريبا

ليست العزلة عنهم وحشـــة أنت بالعزلة قد تحيا طـــروبا

إن من أكثر من أصحابه لا يرى يوماً من الدنيا رطيبا

إن سوءاً من أخ أو صاحب منهض ما بين الإثنين الحروبا

كان العاصى يستشعر فى نفسه بغضا متبادلا بينه وبين الناس وإن كان لا وجود له فى عالم الواقع . فليس اختلاف الناس فيما بينهم فى أحـــكام القيم إلا دليلا على حيويتهم ، وبغير ذلك لا يتميز خير من شر ، ولا حق من باطل ، ولا جميل من قبيح

والذكاء أو العقل فى نظرة علماء النفس إنما هو « التكيف بالبيئة » وإذن تكون العزلة نتيجة لاضطراب النفس ، وارتباك العقل ، وعلامة على تخلف الفرد عن ركب الجماعة .

حياة كلها يأس وشقاء ، وبؤس وهموم ، وأنفاسه موزعة بين حسرة وزفرة ونقمة :

فإن تكن الليالى مثل هـذا

فإن الأمن عندى فى اعتزال

وصاحبنا — مع ذلك معذور ، والمجتمع الذى حوله مسئول عما انتابه ، ومأخوذ بجريرته التى ارتكبها ، فلو أنه لقى فى صحراء العيش واحة للصداقة تروح عن نفسه ، لفض همومه ، وسلك مع السالكين إلى المجد الذى طالما داعب طموحه ، وهو

الفيلسوف المفكر ، والشاعر المرهف ، ولكنه يقول :

ضاعت سعادة نفسي ، وانبرى أملي
ونال مابي من جسمي فأضناني
إني ظمئت إلى خل ليؤنسني
فلم أجد مؤنسا ما بين خلاني
فعدت للهم عل الهم يؤنسني
إن كان في الهم أنس الواله العاني

فلم يستجب له أحد ، وذهبت صرخاته مشلولة الأصداء .

قولوا لسارية الآلام في كبدي
هل تقصرين ، فإن الهم أبلاني
واحنوا علي إذا ما الهم أرقني
وباركوني إذا ما الصبر وافاني
ولا تكونوا على نفسي إذا جزعت
فإنني مرجع نفسي لإبماني

لهذا كله حلت له العزلة بدار « لايزور ولا يزار »

أهيم بوحدتي ، وبقرب نفسي فؤد الناس حل به البوار
وحسبي أنني غرد طروب بأفكاري ، وما في ذاك عار

فلا عجب إذا نقم على الحياة ، وعلى الناس ، وعلى نفسه إذ يقول :

يوقد النقمة في قلب الكريم سوء ما يلقى من الدهر اللئيم

وإذا ما تحطمت النفس اعتل الجسم ، فلا راحة ، ولا انسجام ، واختل التوازن بين القوى في كيان الفرد .

مجمع الآلام جسمي ياله من صبور وحول وكظيم

بل ويرى هوة فاصلة بينه وبين الناس ، ينكرهم وينكرونه لما يحس في نفسه من نقص :

اخالني وأخال الناس ترمقني عجيب خلق يحير الناس مرآه
ولو ترانى مأخوذا ومستلبا لخلتني موكلا بالغيب أرعاه

ويقيني أن شاعرنا غير صادق إذ يقول :

لكنني وخطوب الدهر تعصف بي ثبت على كل ما في الدهر ألقاه

ألقى الهموم وتلقاني وأتركها يوما وتتركني : كل لمثواه

هذه مغالطة نفسانية ، وتعويض داخلي ، ليت له قوة التأثير في نفس شاعرنا ولكنه بات صريعا من طول ما أوهت عزائمه الهموم التي قعدت بهمته ، فأخلد إلى الأرض . قال :

شعرت بالهم حتى لا أحس به وقد تفيد فتى في الهم سكرته
أتى الزمان بدائي ثم أعجزه دواء دائي ، وضاقت عنه حيلته
يا قوم ليس تفيد المرء حيلته إن أقعدته بهذا الدهر لوعته

وكما ضاق صاحبنا بالحل الوقتي ، ضاق أيضا بالعيش الهنيء ، وهو أظمأ ما يكون إليه ، ولكن أين هو : —

ولعيش هنائي بي ظمأ بالهم ما بعده للنفس رى
يا بني الدنيا ويا عشاقها ويكم أين هو العيش الهنى

ثم يعود إلى لوعته تساوره ويساورها ، ويحاول أن يزحزحها عن كاهله فيكل عنها ، فيغالط نفسه مرة أخرى ، ويدعي الثبات أمام ويلات الزمان .

لا يثنني عنه الزمان ولا بنى عن نيله ، وهو الكمي الأمرد

ويتحدث بعد هذا الصراع ، وهو يجرر أذيال الهزيمة :

وما أنا إلا بعض هم تجسمت معانيه حتى أصبحت جسدا يجرى
يقولون أين العزم قلت مضت به هموم عدت يوما على العزم والصبر
كأن صروف الدهر بيني وبينها وما أحد يدري قديم من الوتر
فتى في إهابي ضاق سجن فؤاده يجيش من الآلام في ضحوة العمر
ويأبى الأسى المضنى فراق صريمه إلى أن يراهم أو دعوه ثرى القبر

ذلك بأن الموت طبيبه الذي سيشفيه من داء العيش :

أنا في الدهر حائر كيف ألقى أي أنس بجانبه فأطيب
كيف أهنا بالعيش والعيش عندي مرض ، والممات عندي الطبيب

ولطالما بحث عن همه ليعالجه ، فما يرى إلا سحائب من دخان الهم يضيق بها صدره . ومما يزيد في ضيقه أن الناس إذ يريدون أن يخففوا عنه زفرة أو محنة أو لاعة أو نقمة إنما يلفظون بكلمة « أنت واهم » فما تفتح مغلقا ، ولا تأسو جرحا .

إني لأبحث عن همي فأخطئه لكن أثم فؤادي وهو يحترق
كأن صدري وما ضمت أضالعه حصن إليه جيوش الهم تستبق
قالوا وهمت ، ونال الوهم بغيته مني فهل وهموا في القول أم صدقوا

وفي قصيدة أخرى يقول :

قالوا : اصطبر ، قلت إن الصبر قد نفذا فما يفيد أخو هم إذا اتأدا

قالوا العزم، قلت ضاع العزم وانفردت في البوائق حتى أوهت الجلدا
ما حيلة المرء إن مال الزمان به إلا رضى بأسى يفرى له الكبدا
أرعى هموى، وترعاني ولا أحد يحنو على، فأراق فيه معتمدا

ويتذكر الماضي ليسالي أنسه، ويداعب ذكريات عزه، ويتمنى لو تسكت عنه الهموم ويهدأ قلبه المتمرد:

فإن كان هذا في غد طاب لي غد وإلا فصبري في غد متمرد
فقد سار بي شوطا بعيدا عن المنى وما هو للسير الطويل معود
فيا غد لا وافيت إلا بنصرتي فإن حياتي في يمينك ياغد

وهذا آخر الشوط الذي استسلم عنده الشاعر من شدة الإعياء. وباب الغزل الذي طرقه احمد العاصي يفضي بنا إلى تيارين أحدهما قبل العاصفة العاطفية التي جحت به، والآخر وهو يتخبط في دياجير تلك العاصفة. وعلى كل حال فإنه عشق لا الشيء إلا لأن له قلبا كسائر قلوب الناس، وكل ما بينه وبين غيره أنه أحد هؤلاء الذين فشلوا في الحب فكان هذا الفشل ضغثا على إبالة. فهو يقول:

خبري يا أمة العشق: فتى زار يوما ساحة العشق فضل

على أن باب الفخر يتم عن فترة من التجلد سبقت المحنة التي استعصت عليه:

لعمركو ما في إلا معاند لدهري صليب الجانبين صؤول

ويمضي في هذه القصيدة معبرا عن حبه الخير وفعله المعروف:

أحب فعال الخير والصدق شيمتي وفي حكمتي لي قائد ودليل
وإن رام مني الدهر مالا أوده رددت جموح الدهر وهو ذليل

ولعل الأبيات التالية تنبيء عن مسلك الشاب الطموح الذي لا يلوى على شيء وهو بسبيل المعالي من الأمور:

وما السير للعلياء إلا لذاذة لنفس فتى ما حل عقدته الدهر
إذا ما ركبت الليل فالمجد مطلبي وسيري مدى ايس يقيمه جزر
أهم فلا أبقي لدى النفس مطلبا وأصبح والآمال في ساحتي كثر
فأما ملذات النفوس فإنني أرى أن سعي المرء في إثرها نكر

ويستطرد في هذه القصيدة مستنكرا أن تعوقه عن مطلبه السامي بنت كرمة (تضيق بها في الدهر أخلاق الزهر) أو أن يهيم بثانية لأن:

لنا عزة من دونها كل مطلب وهمة نفس ضاق في أمرها الدهر
وليس بنا للناس إلا محبة وليس بساح القلب من أجلهم غمر
ونسمى لهم حتى نقيم ضعيفهم ونهض من يهوى بعزمته الفقر

وهكذا كل الفضائل الاجتماعية من رد الظالم وإيواء الشريد وبغض الاثيم وحب الناس جميعا، ونزعة الخير غالبة على شاعرنا في فترة اطمئنان نفسه وهدوء انفعالاته.

ودأبي فعل الخير حتى لو انني سئلت لما أدري لمن أنا فاعل
ومابي حب للحياة وإنما أعيش لتحيا في حماي الفضائل

فهو كهف للخيرات وحمى للفضائل. ويشهد معاصروه من زملائه بما كان له من آراء صائبة عند مناقشة أساتذته، وهو يسجل هذا فيقول:

أدفع القول فلا أبقى فتى سامعا لي لم يعر من نبعي
وأرى الحق فلا أتركه ضائعا ما بين قوم ضيع
تعرف الأقوام عني أنني أسمع الأقوام مالم يسمع

وأغلب الظن أن لهذا البيت الآخير صلة بما وقع بينه وبين أستاذه الدكتور طه حسين بك يوم اعترض احمد العاصي أثناء إحدى محاضراته، فلم يسمع الأستاذ واستمر يحاضر، فحسب العاصي أن الدكتور يحتقره ويغضي عنه، فحز ذلك في نفسه وامتلأ غيظا، فلم تكد تنتهي المحاضرة حتى هب العاصي محتجا على الدكتور كيف يسأله فلا يجيب، فأخبره بأنه لم يسمعه ولو كان سمعه ما تردد في الجواب والنقاش ولاسيما مع أحمد العاصي بما عرف عنه من قوة الحجة، وإجادة الجدال، ومع ذلك أصر العاصي على احتجاجه، والدكتور يخفف من نفسه ويطيب خاطره على الرغم من خفوت صوت العاصي، ويقول:

أنا في العلم غلام لو دعى وإذا ما قلت قالرأى مني

ومن ثنايا الديوان يخرج الشاعر المتمرد المنطوي على نفسه إلى عالم الناس جريئا قويا ثبت الجنان حقا، فيعبر عن آمال مصر في جامعتها، ويحفز الهمم في حماسة الشباب، مفضيا عن محنة هو:

لا يصد المرء عن أغراضه محنة تزجى إليه أو سقم

ويؤذيه أن يرى ما بين بني قومه من شقاق، فيعتب عليهم في رفق:

تريدون بالشحناء نيل مرادكم وترجون الاستقلال بالأقوال

ويؤثر أن يختم ديوانه بقصة الموت ، وهي تلك الساعة الرهيبة التي يستعجل فيها ملك الموت ، مرحبا به ، ويستحثه على الصعود إلى العالم الباقي بروحه ليخلص من الأرجاس الدنيوية والهموم القاتمة :

ساعة يؤنسني فيها الملك هامسا هيا لمن قد أرسلك
قائلا لاتخش سوءا يافتى ها هو المركب قد هيأت لك
سر حثيثا لا تضايع إنما في غد تثنى على من أوصلك
واسع بالروح إلى المولى ولا تذكر الدنيا فليست منزلك

ثم يمضي : —

ها هي الحسناء قد جهزها لك من قبلك للموت سلك
فاشدد العزم وهيا لترى لذة كبرى وتحيا كملك

ثم يتخيل نفسه في وادي الموتى حيث يبعث منه برسالة إلى الأحياء فيقول :

كم أنا رافه هنا بحياتي وبما عندنا من اللذات
كل ما نشتهيه تحت يدينا ولنا ما نشاء من طيبات

هذا هو الشاعر الماضي الذي نفث في قيثارته أنفاسه ، ووقع على أوتارها نبضات قلبه فجاءت ألحانه صادقة في التعبير عن وجدانه. لم يتكلف الشعر ولم يكن إلا كالسيل يندفع نحو غاية عنيفا غاية العنف ، ثم يمضي بعد ذلك كالجدول المنساب بين فحيح النيران في جوف الظلام .

نعم صدق الماضي في التعبير عن أحاسيسه ومشاعره ، وبرع حقا في اقتناص كل انفعال تردد بين جوانبه ، فتصيد له النغم المناسب ، وقيده في شعره الحر الطليق ، فواتاه اللفظ ، وأسعفه اللحن ، ودانت له القافية ، فما نبا عن ذوق ولا كبا في خطاه . ولو كان للشاعر المرهف رفيق يفضي إليه بضمرات نفسه ، لاستطاع أن يطرح من أثقاله ، ويروح من همومه ، ولكنه للأسف — كان كالظمآن في بيداء اللانهاية : حرم عطف الصديق ، وحنو الشقيق . وأنس الرفيق ، وجافاه الحبيب ، وفارق الأم ، واعتزل أباه ، وهجر البلد ، ونأى بجانبه . فتقاص شبابه ، وانطوت آماله وعكف على اللذات ، وفلسف الأحزان كما أراد .

هذه الحياة كانت آفاق الشاعر الماضي وحده ، لأنه اعتصرها بعيدا عن الناس واستدار حول نفسه في إطارها من الداخل . غير أنه لم يحفل بالطبيعة في كثير ولا قليل . نعم لقد عطل جميع منافذ إحساسه عن مجالي الكون ، وماله يرى ويسمع وهو في « كهف أفلاطون » ليس أمامه فيه إلا أشباح الفناء وقد ظنها حقائق تجسمت حتى أخذت تخايله في حياة كلها مظلم صامت. الطبيعة الحسناء ، والقاهرة وضواحيها ، والفجر والربيع والسماء والماء والجداول والصفاف ، والزهور الحسان ... لم يكن لهذه التهاويل ظلال في جوانب الشاعر المتمرد ، تخلا منها شعره ، وكان كدودة القز تغزل خيطها في محبس الظلام حتى يؤذن لروحها أن تهيم كالفراشة في مسبح الضياء .

ومهما يكن من شيء ، فتلك شاعرية لها ميزتها التي تكفل لصاحبنا « شخصية » في الشعراء الخالدين ، من أوضح عناصرها وأبرز معالمها ، ما قاله أمير الشعراء فيه :

ولتعلمن إذا السنون تتابعت أن التشكي كان قبل أوانه

محمد محمود زيتون

تفتيش مباني قبلي القاهرة

يعلن تفتيش مباني قبلي القاهرة عن مناقصة الأعمال الاعتيادية والتجارية اللازمة لانشاء دور علوي مبنى مصلحة الشهر العقاري المحدد لفتح مظاريفها يوم ١٢ — ٤ — ١٩٥٠ وقيمة المستندات هي جنيه و ٧٠٠ مليما خلاف ١٠٠ مليم أجرة بريد وكل عطاء يجب أن يكون مصحوبا بتأمين مؤقت بواقع ٢ ٪ من قيمته وإلا يعتبر لاغياً فضلا عن توقيع جزاء الحرمان على صاحبه من التعامل مع المصلحة .

٤٣٩٥

صور من الشعر الحديث في العراق

الاستاذ ابراهيم الوائلي

تمهيد :

كانت بداية النهاية في كانون الثاني « يناير » من السنة ١٢٥٦ حين هاجم هولاكو أسوار بغداد ولم يقدم عرض الصلح الذي تقدم به ابن العلقمي وجاثليق النصارى .

وفي اليوم العاشر من شهر شباط « فبراير » من السنة نفسها استيقظت بغداد فإذا بها أمام تيار عارم لا يقف عند حد ولا يريد ان يقف عند حد . تيار من الوحشية التي تستعذب دماء الناس وتستمرئ لحومهم وإذا بالسيف والنار يقدمان لهذا الجائع موائد من الدماء واللحوم يدوسها بأقدامه ضاحكا ساخراً . والناس من أهل بغداد وما جاور بغداد حيارى واجمون يعصف بهم الرعب ويجرفهم الخوف وتشتد بهم العاصفة من كل جانب فلم يجدوا بدا من أن يودعوا خليفتهم الذي استسلم وخضع . ومجدهم الذي توارى واحتجب وحريتهم الاسلامية التي انتهكت وأهينت . ولم يجدوا بدا من أن يستقبلوا فاتحاً متغطرساً سفاكا مستبيحا ، كل ذلك على مضض منهم وكره . واستسلمت بغداد لحد السيف وأسلمت ترابها لألسنة النار وأمواج النهر ، تلك تلتهم وهذه تبتلع ، وانطوى العصر الذهبي بمجده وعظمته فلم يعد التاريخ يسمع غير الهمسات الخفيفة والنأمات العابرة والصدى المبحوح وحتى هذا الصدى أخذ يختنق تحت وطأة العجمة الطاغية والوحشية الحمقاء . ولوحقت اللغة العربية وآدابها في كل مكان وطوردت في كل مرفق تجتث أصولها وتشذب فروعها وينرس مكانها الجهل والغباية .

وبقيت بغداد وسائر المدن العراقية تغط في نومة طويلة أحقابا وسنين سماها المؤرخون « الفترة المظلمة » ولم يخطىء المؤرخون في هذه التسمية فقد كانت هذه القرون التي مرت على العراق زاخرة بالجهل والتأخر والانحطاط والانتكاسة العميقة فلا عدل ولا إصلاح ولا أدب ولا دراسة ولا تعليم ، الإخيال باهت يلوح بين جدران المساجد والبيوت في بعض الحواضر العراقية ، والا لمحات قليلة لا تقع من تاريخ الأدب الصحيح على مكان إذا استثنينا العلوم الدينية والتاريخية التي لم تركد كل الركود . بالرغم من ذلك كله فإن اللغة العربية في العراق بقيت تصارع وتكافح فتهدأ حينا وتثور أحيانا أخر ، تكافح عدوا عنيدا لا يكتفي بما يبتزه من خيرات ومنافع بل يحاول القضاء على هذا الطابع الذي تعتز به الأمة — وطابع كل أمة لغتها كما يقولون — وكانت هذه اللغة تدرس وتقرأ ولكن في نطاق ضيق محدود ، ونجد من يحدب عليها ويرعاها ولكن في مجال غير فسيح ؛ فبعد أن كانت بغداد هي مركز العصب الحساس للغة العربية وآدابها أصبحت في هاوية بعيدة القرار من غفوة الزمن ، وبعد أن كانت البصرة في مربدها والكوفة في منبرها تنتجان وتتباريان أخلدتا إلى السكون والدعة ، ولم يعد التاريخ يسجل للعربية علما وأدبا إلا القليل مما تنتجه بعض المدن كالحلة والنجف والموصل وكان هذا الانتاج بين تأليف لا عمق فيه ولا دقة ، وشعر لا عاطفة فيه ولا تصوير ، ونثر تشمئز اللغة من تراكيبه وأسلوبه . يجرف ذلك كله تيار من التقليد والمحاكاة . تقرأ للشاعر فلا تقع عينك في ألفاظه إلا على الطلول والدمن ، ولا تهم معه إلا في حاجر وذي سلم ؛ وهو بعيد عن ذلك في بيئته وحياته الاجتماعية . وتتطلب معانيه فلا تجدها إلا وهي باهتة خابية لا حياة فيها ولا حركة ما عدا شعراء قليلين كان لهم نصيب من الشعر الجيد .

حتى إذا جاء القرنان الثاني عشر والثالث عشر للهجرة أخذ الشعر يتمطى بعد غفوة ويصحو بعد رقدة ، ولكنه لم يستطع أن يزيل عن جسمه غبار السفر البعيد أو يتخلص من بقايا التعب فلم يسلم من تبعات التصنع والتقليد . ومن أشهر شعراء هذه الحقبة كاظم الازري ثم العمري والأخرس وحيدر وجعفر الحلياني ، والسيد الحبوبي وغيرهم كالشيخ جواد الشبيبي والشيخ جعفر الشرقي . وكان هذا العصر إيذانا بعصر جديد وبنهضة شعرية جديدة نشط فيها الشعر وتحلل من القيود الصناعية والزخرف اللفظي ، وانطلق من عقال التقليد في أغراضه ومواضيعه وفي أخيلته ومعانيه فواكب السياسة في ادوارها المختلفة وسائر المجتمع

فى تطوره ودعا إلى الاصلاح والتحرر ومقاومة الاستعمار.

هذه النهضة الشعرية المباركة تلتقى عندها عوامل عدة وتقف إلى جانبها أسباب كثيرة ، منها ما هو داخلى يعود إلى البيئة والطبيعة والثقافة المحلية ، ومنها ما هو خارجى يعود إلى الاستعمار الذى خيم على العراق فحرك نفوس الشعراء ، وإلى النهضات العلمية التى بدأت تنمو فى مصر وسـوريا ، والصحافة العربية فى هذه البلدان بما كانت تنقله من وعى وتنشه من علم وأدب .

فالبيئة العراقية حساسـة ثائرة ، والطبيعة متقلبة متحولة : شتاء قاس ، وصيف شديد ، وربيع معتدل قصير العمر ، وخريف عارم كثير الرياح والزوابع ، وأنهار تكاد تجف فى الصيف وتطغى فى الشتاء والربيع ، وصحار خاوية لانبت فيها ولا ماء ، ومروج خضر تمتد بامتداد البصر . هذه الطبيعة بألوانها وصورها وخيرها وشرها معرض يطوف الشـاعر فى أرجائه فيتأثر وينفعل ثم يغنى انفعالاته قصائد تحكى هذه الطبيعة وتصور انقباضها وانبساطهـا وسكونها وثورتها وكل ما فيها من مختلف ومتشابه .

***

وأما الثقافة المحلية فقـد كانت فى حدود الدين واللغة العربية فى كتبها الصفر وفى بقايا من التراث العباسى يستقى من مخطوط قديم أو من مطبوع جاءت به المطابع الهندية والايرانيـة وندت به المطابع التركيـة إلى جانب ما تنتجه المطابع السورية والمصرية والعراقية فى ذلك العهد ولا شـك أن هذا الانتاج كان محدودا قليلا ، لذلك كانت الثقافة العراقية فى أواخر القرن التاسـع عشر لاتتجاوز الأفراد متفرقين فى بغداد والحلة والنجف والموصل ؛ حتى إذا أخذت الطباعة تنتشر والمطبوعات تتيسر أخذ الأدباء العراقيون يتسابقون إلى اقتناء الـكتب العربية القديمة واستيعـابها والأفادة منها فتجاوز الأدباء حدود الأفراد وحشر الشعراء على ضفاف الرافدين ، وكانت الذهنية العراقية تدفع الشـاعر والأديب إلى التمحيص والاختيار فلا يقرأ الغث ولا يحفل بالردىء . هـذا إذا كان الشاعر موهوبا قد هيأته الطبيعة وكونت فيه عنصر الشاعر تكوينا سابقا ، لذلك كان الشعر العراقى فيما مر من القرن العشرين صافيا مشرق الألفاظ مركز الاداء إلى جانب معانيـة الدقيقة وأخيلته السامية .

والاستعمار الخارجى كان يتمثل آنذاك فى سلاطين آل عثمان وولاتهم ضباطهم وجنودهم يحكمون دنيا العراق السخية ويبتزون خيراتها ويفرضون اتاوتهم على كل إنسان بالقوة والسوط ويجندون ابناء العراق لحروبهم ومعاركهم ، ومن يقعد عن الجندية يدفع البدل المرهق الذى تفرضه السلطات كما تريد ، وتذهب هذه الخيرات إلى ليالى البسفور والدردنيل وإلى قصر يلدز وغيره . وبقى العراق رازحا تحت وطأة البؤس والفاقة والأمراض والطواعين . وكان من جراء ذلك أن انتشر الرشوه وكثرت الاقطاعات بأيدى نفر من الزعماء يمالئون الولاة والحكام لتسلم لهم إقطاعاتهم ونفوذهم . هذه الصور والألوان يستعرضها الشـاعر العراقى كل يوم فيتأثر وينفعل ويثور ويردد ثورته فى قصائد يقذف بها كالحمم اللاهبة .

وأما الصحافة — ونعنى بهـا الصحافة التركية والعربية فى مصر وسـوريا — فقد كانت ذات نصيب كبير فى إيقاظ الشعر العراقى ونهضته بما تحمله من العالم الخارجى وبما تتحدث عنه من تقدم ووعى فى الأمم الأخرى وفى الشعوب العربية كمصر وسوريا ؛ ففى مصر كانت النهضة قد نشرت اجنحتها وتناولت معظم المرافق والحقول ، وفى سوريا كان الوعى القومى قد رسخت قواعـده وتركت مبادئه نتيجة لاحتكاك العقلية السورية بالنتاج الفـكرى الغربى وكان الأدباء العراقيون على صلة بهذه التيارات يتبعونهـا ويتطلعون إليها ويقرؤن ما يصل إليهم باستيعاب ورغبة فيحسـون نهضة العالم ويشعرون بما فى البلاد العربية من يقظة وتوثب ، ويتألمون لـما فى العراق من تأخر وتخلف ، وليس العراق بأقل من غيره قابلية للنهوض والتقدم فلا يلبثون حتى يرددوا ألمهم أناشيد تشيع هنا وهناك فيرن صداها قبولا واستحسـانا فى دنيا العراق ، وسخطا وحنقا فى قصور المستعمرين وكان لابد لهذه الأناشيد من منابر تذيعها على الملأ وهـذه المنابر هى بعض الصحف التى تصدر فى العراق ، ولـكنها كانت تضيق فى معظم الأحيان عن نشر هـذه الصرخات المدوية حذرا من الولاة والحكام ، وما تضيق عنه هذه الصحف تتناقله صحف مصر وسـوريا آنذاك فيذيع فى الأقطار العربية ومنها العراق .

بهذه العوامل وغيرها اندفع الشعر العراقى إلى مواكبة العصر الحديث وتصوير آلام المجتمع والدفاع عن حرية العراق والبلاد العربية عامة .

بعد التمهيد الذي قدمناه نحب أن ندرس ثلاثة من شعراء العراق في العصر الحديث وهؤلاء الثلاثة هم الكاظمي والزهاوي والرصافي ندرسهم في مجال الشعر السياسي فقط، وفي عهد الاستبداد الحميدي وبعد إعلان الدستور فحسب؛ ثم نشير إلى مواقفهم الايجابية من العثمانيين والظروف التي دعت إلى ذلك. وقبل أن نتحدث عن هؤلاء الشعراء نحب أن نشير بايجاز إلى تاريخ الدستور العثماني.

لعل الرجل الوحيد الذي شغلته فكرة الدستور وناضل من أجلها هو مدحت باشا الذي نفاه عبد الحميد إلى الطائف من الحجاز وسجن هناك ثم اغتيل في العاشر من نيسان «ابريل سنة ١٨٨٣م.»

وكان مدحت هذا ثمرة طيبة نبتت بهـا تلك الشجرة المرة فاشتغل بالسياسة وتقلد مناصب كبارا في أوربا وسوريا والعراق. وقد ساءه أن يرى الجهاز الحكومي في تركيا يسير على غير انتظام، والولايات التابعة للحكومة العثمانية ترسف في أغلال العبودية والذل وتدفع الأتاوات لحكام جائرين، ففكر أن يضع حداً لهذا الاستبداد. كان ذلك أيام حكم السلطان عبد العزيز، والصدر الأعظم محمود نديم، وشيخ الاسلام حسن فهمي. وكل واحد من هؤلاء لا يبالي من أين جاء المال وبأي وسيلة يجمعه. وفي مظاهرة كبرى قام بها مدحت على رأس جمهور كبير هتف المتظاهرون بسقوط الصدر الأعظم وشيخ الإسلام فلاذا بالفرار. وطلب المتظاهرون إسناد الصدارة إلى مدحت فاكتفى السلطان بتعيينه وزيراً بلا وزارة، ولكن المفكرين وعلى رأسهم مدحت لم يكتفوا بذلك فألحوا بوضع الدستور الأمر الذي نتج عنه عزل السلطان عبد العزيز ومبايعة ابن أخيه السلطان مراد سنة ١٨٧٦ م. وفي هذه السنة انتحر عبد العزيز وجن مراد وانهارت قواه العقلية بعد اعتقال طويل وتألم مدحت لهذا الحادث فاتصل بعبد الحميد ولي العهد فوعده بالغيرة على الدستور — إن ولي السلطنة — وبالتنازل عن العرش إن استعاد مراد قواه العقلية، وأسند الملك إلى عبد الحميد. غير أنه بعد أيام قليلة بيت الغدر لمدحت ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً بسبب الحوادث التي جدت في أوروبا والتي اضطرته إلى استشارة مدحت في أمر الدستور. وفي ٢٤ أيلول «سبتمبر» سنة ١٨٧٦م تألفت لجنة من الوزراء والعلماء والقادة فقررت تأليف مجلس للشيوخ وآخر للنواب وشرعت تدرس مواد الدستور، وأسندت الصدارة العظمى إلى مدحت في ١٩ تشرين الأول «اكتوبر» من السنة نفسها وقوبل هذا التعيين باغتباط عظيم في تركيا والبلاد الخاضعة للنفوذ العثماني لما كانت تنتظره من إصلاح على يد مدحت؛ ولكن عبد الحميد أخذ يضع العراقيل في طريق مدحت ويسوف باعلان الدستور فلم يكن من مدحت إلى أن هدد بالاستقالة قائلا في خطاب له:

«إننا لم نخلع السلطان عبد العزيز إلا طمعاً في الوصول إلى هذه الغاية المقدسة» ومن ثم اضطر عبد الحميد إلى إعلان الدستور وأصدر إرادته بهذا في يوم ١٢ من كانون الثاني «يناير» سنة ١٨٧٧ فأطلقت المدافع ابتهاجاً بهذا الحادث العظيم وأعلن الشعب فرحه وسروره لأن الأمة أصبحت مصدر الحكم ولها الحق في ممارسة شئونها الداخلية والخارجية. وأخذ مدحت يعمل على تنفيذ مواد الدستور ويسترضي جميع الطوائف والطبقات؛ ولكن عبد الحميد أحس بخطر مدحت، وخاف أمر بنفيه إلى أوروبا بتهمة الخيانة العظمى وكان إذ ذاك في حدود الخامسة والخمسين فثار الأحرار والمفكرون لهذا المآل وكثرت المظاهرات احتجاجاً على مصير مدحت فلم يطل مكثه في أوروبا وأعيد إلى الشرق والياً على سوريا بينما كان عبد الحميد ينكل بأتباع مدحت ويبعد عن الأستانة كل من شارك في أعمال الدستور. وكثرت الاضطرابات حتى وقعت الدولة التركية بين مطامع الانجليز والروس وانتشر المبشرون والأوربيون في الساحل السوري وفي فلسطين. وثار مجلس النواب مطالباً بمحاكمة محمود نديم الصدر الأعظم فغضب عبد الحميد وأصدر أمره بحل المجلس النيابي وإلغاء الدستور وذلك في ١٣ شباط «فبراير» سنة ١٨٧٨ م ثم أرغم على إعادته سنة ١٩٠٨ م وفي فترة الثلاثين سنة بين الإلغاء والإعادة كان عبد الحميد يترع على قمة الاستبداد فنفى كل وطني غيور، وقضى على كل ضمير حر، ولم يبق معه إلا شرذمة من خشارة الأدنياء والمنافقين يتقلبون في المناصب بينما كانت الأمة تتدهور حالتها والبلاد العربية وبخاصة العراق — تقاسي كل ألوان الفقر. وانعدمت الحرية في كل مكان وكثر الأرصاد والجواسيس يتعقبون كل جمعية ويتابعون كل قائلة، وغصت السجون بالأبرياء وضرب نطاق من حديد على المطبوعات والصحافة والبريد.

وأخيراً استدعي مدحت إلى المحاكمة وحوصر قصره بأزمير

حول حديث أهل القليب

إلى الأستاذ محمد أبو رية

للاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي

قال ابن عمر : اطلع النبي صلى الله عليه وسلم فقال « وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فقيل له : تدعو أمواتاً ؟ فقال « ما أنتم بأسمع منهم ، ولكن لا يجيبون »

وعن عائشة ، قالت : إنما قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنهم ليعلمون الآن أن ما كنت أقول حق » وقد الله تعالى إنك لا تسمع الموتى

انتهى ما أورده الإمام البخاري في صحيحه في ٢٣ — كتاب الجنائز — ٨٧ — باب ما جاء في عذاب القبر. وقال أستاذ الدنيا في علم الحديث (الحافظ ابن حجر العسقلاني) في كتابه قاموس السنة المحيط (فتح الباري) ما نصه :

هذا مصير من عائشة إلى رد رواية ابن عمر المذكورة. (وقد خالفها الجمهور في ذلك ، وقبلوا رواية ابن عمر ، لموافقة من رواه غيره عليه) وأما استدلالها بقوله تعالى — إنك لا تسمع الموتى — فقالوا : معناها لا تسمعهم سماعاً ينفعهم ، أو لا تسمعهم إلا أن يشاء الله . وقال السهيلي : (عائشة لم تحضر قول النبي صلى الله عليه وسلم) فغيرها ممن حضر أحفظ للفظ النبي صلى الله عليه وسلم . وقد قالوا له : يا رسول الله ! أتخاطب قوماً قد جيفوا ؟ « فقال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » . قال وأما الآية فإنها كقوله تعالى — فإنك لا تسمع الصم أو تهدي العمي — أي إن الله هو الذي يسمع ويهدي إه .

وبعد كلام طويل في كيفية عذاب القبر قال :

(تنبيه) وجه إدخال حديث ابن عمر وما عارضه من حديث عائشة في ترجمة عذاب القبر أنه لما ثبت من سماع أهل القليب كلامه وتوبيخه لهم ، دل إدراكهم الكلام بحاسة السمع على جواز إدراكهم ألم العذاب ببقية الحواس ، بل بالذات ، إذ الجامع بينهما وبين بقية الأحاديث أن المصنف أشار إلى طريق من طرق الجمع بين حديثي ابن عمر وعائشة ، بحمل حديث ابن عمر على أن مخاطبة أهل القليب وقعت وقت المسئلة ، وحينئذ كانت الروح قد أعيدت إلى الجسد . وقد تبين من الأحاديث الأخرى أن الكافر المسئول يعذب . وأما إنكار عائشة فمحمول على غير وقت المسئلة . فيتفق الخبران . اه قول الحافظ .

أقول : وهذا الحديث لم ينفرد به ابن عمر ، بل جاء في صحيح الإمام مسلم عن أنس بن مالك قال : كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال ، وكنت رجلا حديد البصر ، فرأيته ، وليس أحد يزعم أنه رآه غيري . قال : فجعلت أقول لعمر أما تراه ؟ فجعل لا يراه . قال : يقول عمر سأراه وأنا مستلق على فراشي . ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس . يقول هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله . قال : فقال عمر ، فوالذي بعثه بالحق ، ما أخطئوا الحدود التي حد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فجعلوا في بئر بعضهم على بعض . فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إليهم

فسلم نفسه إلى السلطات وحوكم في قصر « يلدز » بتهمة اغتيال عبد العزيز ولم يجده الدفاع عن نفسه فنفي مكبلا بالحديد إلى الحجاز وسجن في الطائف مع رفاقه وفي اليوم العاشر من شهر نيسان « ابريل » سنة ١٨٨٣ م لقي حتفه مسموماً ودفن بالطائف وبعد دفنه أمر عبد الحميد باحضار رأسه للتأكد من موته وكان الأمر كما أراد [1] .

هذه الفترة العصيبة التي اشتهرت بعبد الحميد كانت مثار قلق وتذمر في البلاد العربية وكان العراق يعمل دائباً للتخلص منها والثورة على الاستبداد وكان في طليعة الثائرين أكابر الشعراء وفي طليعة هؤلاء الشعراء : الكاظمي والزهاوي والرصافي حتى انتهى الاستبداد وعاد الدستور فرحب به الشعراء مشاركين إخوانهم من الأحرار ، وبعد هذا فماذا نحن واجدون في شعر هؤلاء الثلاثة حيال هذه الفترة وما بعدها ؟ ذلك ما سندرسه في دواوينهم التي بين أيدينا .

(يتبع)

ابراهيم الوائلي

(١) لخصنا للفصل الدستور العثماني من كتاب : مدحت باشا للاستاذ الدوري للعجي

عدو الشعب الجاشنكير

للاستاذ عطية الشيخ
علية

ما أحسن قول المنفلوطي في المصلحين : « إنهم أنصار الخير والأمر أنهم قوة ، وأكثر عدة وعددا ، وهم دائما هدف لغضب الملوك ، لأنهم يثيرون ثائرة الشعوب عليهم ؛ وغضب النبلاء لأنهم يحتقرون نبلهم ؛ ويزدرون مجدهم وعظمتهم ؛ وغضب الكهنة ، لأنهم ينعون عليهم رياءهم وكذبهم ؛ وغضب العامة ؛ لأنهم يصادرون أهواءهم وشهواتهم ، أي أن العالم كله حرب عليهم من أدناه إلى أقصاه ، وقلما تنتهي حياتهم إلا بمثل ما انتهت به حياة سقراط الحكيم وهوميروس الشاعر وأفلاطون الفيلسوف من قتل أو صلب أو حبس أو تشريد ، ولا ذنب لهم إلا أنهم أحبوا البشر ، وعطفوا عليه ، وتألموا لألمه ، وبكوا لبكائه . . . »

أقول هذا وأنا أتذكر مأساة بيبرس الجاشنكير ، ذلك الملك الذي يقول فيه المؤرخون : « كان ثابتا كثير السكون والوقار ، جميل الصفات ، ندب إلى المهمات مرارا عديدة ، وتكلم في أمر الدولة مدة سنين ، وحسنت سيرته ، وكان يرجع إلى دين وخير ومعروف ، وله أوقاف على وجوه البر والصدقة » ولا تزال بعض المدارس والآثار في القاهرة تحمل اسمه إلى اليوم ، وأصله من مماليك المنصور قلاوون ، ثم صار في أيامه من أعيان الأمراء ، وترقى بعده حتى صار أمير القاهرة ثم استدارا (١) ، وقد أشار باستدعاء الناصر بن قلاوون للسلطنة بعد قتل الملك المنصور لاجين ، فكافأه المنصور بأن أقره استدارا على عادته ، فاتفق مع نائب السلطنة سلار ، وأخذا في تدبير الملك بهمة ونشاط كفيلين للملك ، وكان بيبرس مخلصا جدا للملك الناصر ، وفاء لأبيه الملك المنصور قلاوون الذي كان أستاذه وسيده ، ولكن بطانة السوء ، أوغرت قلبه عليه حسدا وبغضاء ولم تكتف بإثارة الملك حتى أثارت الشعب

(١) مراقبة بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب والحاشية والغلمان ، وله حديث مطلق وتصرف تام في نفقات القصور الملكية ومن فيها « صبح الأعشى »

فقالي « يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان ، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً فإني وجدت ما وعدني الله حقاً ؟ قال عمر : يارسول الله ! كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها ؟ قال « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيئاً »

وجاء في صحيح مسلم أيضاً عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك قتلى بدر ثلاثاً ، ثم أتاهم ، فقام عليهم ، فناداهم ، فقال « يا أبا جهل بن هشام ، ويا أمية بن خلف ، ويا عتبة بن ربيعة ، ويا شيبة بن ربيعة ، أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً » فسمع عمر قول النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : يا رسول الله ! كيف يسمعوا (كذا) وأنى يجيبوا (كذا) وقد جيفوا ؟ قال « والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا . ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر اهـ

قال الحافظ في الفتح : ولم ينفرد عمر ولا ابنه بحكاية ذلك ، بل وافقهما أبو طلحة . وللطبراني في حديث بن مسعود مثله بإسناد صحيح . ومن حديث عبد الله بن سيدان نحوه . وفيه قالوا يارسول الله ! وهل يسمعون ؟ قال « يسمعون كما تسمعون ولكن لا يجيبون » . وفي حديث ابن مسعود « ولكنهم اليوم لا يجيبون » .

ومن الغريب أن في المغازي لابن إسحاق رواية يونس بن بكير بإسناد جيد عن عائشة مثل حديث أبي طلحة . وفيه « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » وأخرجه أحمد بإسناد حسن . فكأنها رجعت عن الإنكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة لكونها لم تشهد القصة .

وهذا الذي دعا معالي الدكتور طه حسين بك أن يدع رواية عائشة ، ويأخذ برواية هؤلاء الصحابة في كتابه (الوعد الحق) وهو القول الحق الذي وعاه الأستاذ محمود أبو رية في عدد الرسالة رقم ٨٦٥ بغير حق والسلام .

محمد فؤاد عبد الباقي

وليت شعري لم يولع اللئام بمحاربة الكرام ويحسدونهم ، ويتربصون بهم الدوائر ، ويقعدون لهم كل مرصد ولا يتركون فرصة إلا افترصوها ، ولا فرية إلا دبجوها ، ولا نار فتنة إلا أشعلوها، وياليت شعري لم يحتضن الرؤساء دائما الأخساء الدساسين ، ويقربونهم، ويرفعون شأنهم ؟ أما يعلمون أن الضعيف لا يكون مخلصا أبدا ، والذي خبث لا يخرج إلا نكدا ؟ ومن العجيب أن أكثر الحكم والأقاصيص قيلت في الوقيعة والنميمة والوشاية والدس ، ولكن كما آذان لا تسمع ، وقلوب لا تتعظ وليس كابن آدم يلدغ من الجحر سبعين مرة لا مرتين

في سنة ٧٠٠هـ وصل إلى القاهرة وزير ملك المغرب في طريقه إلى الحج ، واجتمع بالسلطان الناصر وبالأمير بيبرس الجاشنكير وبالأمير سلار نائب السلطنة ، فأكرموه وأنعموا عليه وعظموه غاية التعظيم . وفي بعض الأيام جلس الوزير المغربي بباب القلعة مع بيبرس ، وحضر بعض كتاب النصارى ، فتوهم المغربي أنه مسلم ، فقام إليه مسلما معظما ، ولما علم أنه نصراني قامت قيامته وهاج هائجه ، ودخل على السلطان مع بيبرس وتحدث في أمر اليهود والنصارى ، وأنهم في بلاد المغرب غاية الذل والهوان « لا يركبون الخيل ، ولا يستخدمون في الدولة » وأنكر على المصريين سماحهم للنصارى واليهود بلبس الثياب الفاخرة ، وركوب الخيل ، واستخدامهم في أكبر المناصب وتحكيمهم في رقاب المسلمين . وأكثر من الكلام في هذا الباب ، وذكر أن عهد ذمتهم قد انتهى سنة ٦٠٠هـ ، وقد أثر كلامه في السلطان والأمراء ولكن لم يأخذ أحد على عاتقه تنفيذ ما أشار به المغربي إلا بيبرس، لأنه كان أكثرهم تدينا ، فجمع النصارى واليهود ، وأعلمهم أنهم لن يستخدموا في الجهات السلطانية ، ولا عند الأمراء ، وكلفهم باختيار عمائم تخالف عمائم المسلمين ، فلبس النصارى عمائم زرقاء ، ويشدون زنانيرهم في أوساطهم ، ويلبس اليهود عمائم صفراء وحدد للتنفيذ « ٢٢ رجب سنة ٧٠٠ هـ » للظهور بزيهم الجديد . وقد عرضوا على بيبرس « الأموال الكثيرة الخارجة عن الحد ليعفوا من ذلك فلم يقبل » فنفذوا الأمر في الميعاد مرغمين ، في جميع بلاد المملكة من دنقلة إلى الفرات ، وإلى هذا الحادث يشير الوداعي بقوله :

لقد ألزموا الكفار شاشات ذلة ... وزيدهم من لعنة الله تشويشا
فقلت لهم ما ألبسوكم عمائما ... ولكنهم قد ألبسوكم براطيشا

ويقول شمس الدين الطيبي :

تعجبوا للنصارى واليهود سما ... والسامريين لما عمموا خرقا
كأنما بات بالأصباغ منسهلا ... نسر السماء فأضحى فوقهم ذرقا

سرت في الشعب موجة حماس ديني ، وأعجب السلطان بحمية الجاشنكير وأنعم عليه بدخل الإسكندرية مدة مقامه فيها للرياسة والنزهة ، وأراد بيبرس أن يتخذ بدا أخرى عند المسلمين فأمر في ٧٠٢ بإبطال عيد الشهيد بمصر ، وكان عند النصارى تابوت فيه إصبع ، يزعمون أنها من أصابع بعض شهدائهم ، وأن النيل لا يزيد ما لم يرم فيه هذا التابوت ؛ فكان النصارى يجتمعون من سائر النواحي إلى شبرا (١) في ٨ بشنس من كل سنة قبطية ، ويحتفلون بهذا العيد « وكانت تثور فيه فتن وتقتل خلائق » وترتكب موبقات ، وتستباح الحرمات ، ويكثر اللهو والفجور ، حتى قيل إن تاجرا واحدا باع خمرا في هذا العيد بإثني عشر ألف درهم . وقد شق إبطال هذا العيد على النصارى ، وظاهرهم الأقباط الذين أظهروا الإسلام وذهبوا إلى بيبرس وعرضوا عليه أموالا كثيرة ، وخوفوه من عدم طلوع النيل ، فلم يلتفت لكلامهم ، وأبطل هذا العيد إلى يومنا هذا .

في سنة ٧٠٣ وصل إلى دمشق رجل من بلاد التتار يقال له الشيخ براق (٢) روى عنه حوادث خارقة للعادة ، ومعه نحو مائة فقير لهم هيئة عجيبة ، وعلى رأسهم قلانس لباد مقصوص فوقها عمائم ، فيها قرون من لباد تشبه قرون الجواميس وأجراس ، ولحاهم محلقة ، وشواربهم مرسلة ، ولبسهم لبابيد بيض ، وقد تقلدوا بحبال منظومة بكعاب البقر ، وكل منهم مكسور الثنية العليا ، وشيخهم جريء مقدام قوي النفس له محتسب يؤدب كل من يترك شيئا من سنته . وكان غازان ملك التتار يحترمه ويجله ،

(١) شبرة الخيمة أو الخيام سميت بذلك للخيام التي كانت تنصب في هذا العيد

(٢) راجع وفيات سنة ٧٠٧ والمنهل الصافي والدرر الكامنة والنجوم الزاهرة

ولـكن بيبرس رأى فى سنة الرجل مخالفة لسنة الإسلام ، فطلب من السلطان منعه من الديار المصرية فرجع إلى بلاده وفيه يقول سراج الدين الوراق

جئنا عجم من جو الروم صور تحير فيهـا الأفـكار
لها قرون مثـــل التيران إبليس يصيح فيهم زنهار

كان قد وقع بالقاهرة زلزال عظيم سنة ٧٠٢ دمر كثيرا من المساجد والمدارس فأخذ بيبرس يصلح ما تهدم ويجدد ما تقوض ، ولم يكد ينتهى من إصلاح ما أفسده الزلزال حتى بدأ فى سنة ٧٠٦ ينشىء الخانقاه الركنية ، التى لا تزال إلى اليوم بشارع الجمالية بالقاهرة ، وتعرف باسم جامع بيبرس ، وقد ذكرها المقريزى فى خططه (ص ٤١٦ ج ٢) فقال : « هى أجل خانقاه بالقاهرة بنيانا ، وأوسعها مقدارا ، وأتقنها صنعة » وقرر بها ٤٠٠ صوفى وبنى بجانبها رباطا كبيراً لمائة جندى مرابط ولمن أخنى عليه الدهر من كرام الناس ، وبنى فى الجانب الآخر من الخانقاه قبة لقبره ، رتب فيها درساً للحديث النبوى ، وجهز الخانقاه بمطبخ يعد طعاما للنازلين « من الخبز واللحم والحلوى كل يوم » وقد تم بناؤها سنة ٧٠٩ هـ

كان الجاشنكير حى الضمير ، متأجج العاطفة الدينية راسخ العقيدة ، شديد الخوف من الله ، لذلك كان يدقق تدقيقاً عمريا فى مصرف كل درهم من دراهم بيت المال ، حتى كان يحاسب السلطان نفسه على كل شىء ، ويمنع عن القصور السلطانية مايرى فيه إسرافا وتبذيرا . وكان من الممكن أن يرضى السلطان بهذا لعلمه أن الدافع إليه شريف ، وأن القائم به من أخلص الناس إليه ، وهو الذى استدعاه إلى كرسى الملك ، ولا يزيد عن كونه مملوك أبيه ، وأن الأمين على مال الدولة إذا عفت يده وطهرت سرت الطهارة فى جميع مرافق الدولة ودواوين الحكومة ، وامتلأت الخزائن وزكت النفوس ، وثبتت دعائم الدولة ، وخمدت بواعث الفتن ، وفشا الرخاء فى الأمة وأمكن الاصلاح ، وكل أولئك من عوامل تثبيت الملك ، وصيانة العرش ، واتساع العمران فى الدولة .

لـكن هل يهم ذلك فى شىء بطانة السوء التى تظهر للسلطان ما يحب ، وتضمر ما يكره ، وتريد أن تشبع ولو جاع الشعب ، وتملأ خزائنها ولو خوى بيت المال ، ولا تعيش إلا إذا أبعدت السلطان عن شعبه والمخلصين له ، ونشرت جوا من الإرهاب يشغل كل امرىء بنفسه ، وقد اتفقت بطانة السوء عند الناصر ، والحاسدون بيبرس الجاشنكير على ما وصل إليه عند الشعب من مركز ممتاز ، ومكانة عالية ، ومقام رفيع ، والمرتزقة الذين يلتقطون الفتات ، ويتصيدون الفضـــلات ويعيشون عيالا على مال الأمة ، واللصوص والمرتشون الذين قطعت أمانة الجاشنكير أرزاقهم ، وخربت بيوتهم ، فإما الكسب الحلال ، وإما الجوع والفقر المدقع — اتفق هؤلاء جميعاً على إقصاء بيبرس والكيد له ، وأخذوا يقلبون الأمر للسلطان ، وينتجمون مراتع الباطل ، ويبتغون الفتنة ، ويشيمون بروق المكائد ، وساعدهم على تحقيق بغيتهم صغر سن السلطان ، وقلة تجاربه ، فبدأ قلبه يتغير على بيبرس أكبر المخلصين له ، والحافظين لدولته ، والمتفانين فى خدمته . وما أشد الحقد إذا غرس فى الصغر وأخذ ينمو ويترعرع مع الكبر .

كان بيبرس وسلار كفيلى الملكة والقائمين بأمرها ، وقد أعانهما على حسن التفاهم فى العمل أخوة فى الخدمة وزمالة فى ساحات الجهاد ، ومحبة من طول الصحبة ، ورأت البطانة أن أول واجب عليها للوصول إلى مآربها . إفساد ما بين الكفيلين ، وضرب كل منهما بصاحبه ، فسولت لها نفسها أن توقع بين سفيه من أتباع أحدهما وسفيه من أتباع الآخر ، حتى يجر كل صاحبه إلى المخاصمة ، وهى حيلة شيطانية لا يتقنها إلا من تربى فى أعطان الفتن ، وقد نجحت المؤامرة فى شخصى الطشلاق حليف سلار والبروانى حليف الجاشنكير ، فسطا الطشلاق على البروانى أمام باب القلعة فى حضور الأمراء ؛ فشكا البروانى إلى بيبرس فاستدعى الطشلاق ليعاتبه ، فأساء فى الرد وأفحش فى القول ، فاستل بيبرس سيفه ليضربه به ، ولـكن الأمراء تكاثروا عليه ومنعوه منه ، فأمر بيبرس بنفيه إلى دمشق ، وأخذ سلار يرجوه فى الابقاء على حليفه ، وبيبرس يأبى ويمدد مساوئه ، وأثيرت المسألة فى حضرة السلطان فأراد استغلالها لإثارة الفتنة بينهما ، ولـكنه لم يفلح ، لأن سلار التزم الصمت وكان فيه دهاء وذكاء وحسن تدبير ، فعلم أن وقوع الخلف بينهما ، يعجل بنهايتهما ، لأن الملك بدأت تظهر فيه رغبة جامحة للاستئثار بالملك والاستبداد به ، وكان ذلك بدافع من خاصته وإشارة من بطانته لحاجة فى أنفسهم

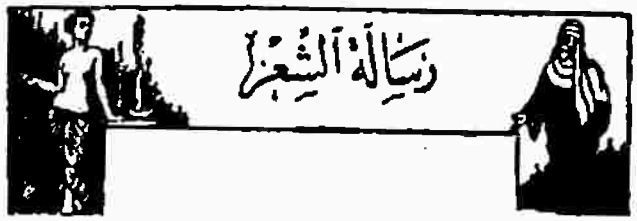

ضراعات !

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

يا صبح زهو بنور من محياها ... ويا نسيم الصبا هفو برياها
كلا كما نال منها وهي هانئة ... ما يبتغيه ، ولم أنعم بجدواها !
لم تعطني من نعيم الحب أيسره ... إن اليسير كثير من عطاياها
ما بالها منعتني ما أؤمله ... وما أؤمل شيئاً غير لقياها ؟
وكيف ضنت على نفسي ببلسمها ... من دائها ، وهي تدري سر بلواها ؟
وكيف نادى بها قلبي لترحمه ... فما استجابت لقلبي حين ناداها ؟
فقلت للقلب ينسى أنها ظلمت ... فما عصاني ؛ لأن القلب يهواها
وكيف أرسل شكوى الروح في نغم ... يدمي القلوب ولا تصغي لشكواها ؟
يا ليتها حينما ضنت على زمني ... بقربها ، علمتني كيف أنساها !
وليتها تركت في القلب متسعاً ... لغيرها ، علّه يهوى فيسلاها

* * *

يا من أحن إليها وهي نائية ... ومن ترفرف روحي حول مغناها
يا من على الورد تقضي الليل ناعمة ... ويسهر الليل فوق الشوك مغناها
ومن بعثت أغاريدي مولهة ... بحبها ، فهداها الحب مسراها
ومن سكبت لها قلبي لتبصره ... دماً ، فتعرف سر الدمع عيناها
ومن جعلت حياتي كلها نغما ... من أجلها ، فيكافي حين وافاها
رحماك ! ما أنا إلا نسمة خطرت ... على صباك ، وحيته فحياها
رحماك ! ما أنا إلا همسة عبرت ... إلى هواك ، وناجته فناجاها
رحماك ! ما أنا إلا حيرة نظرت ... إلى سناك ، وناديته فغشاها
قضى الزمان على روحي بقربها ... عن مهد حبي فأبكاني وأبكاها
هل تذكرين زماناً في الهوى ذهبت ... أيامه كالرؤى ؟ آها لها آها !
إذ تبعثين بنجوى الروح باكية ... فيهجس القلب إذ يصغي لنجواها
وما التقينا سوى روحين رفرفتا ... على رسائل حب قد بعثناها
تذكري كلمات في رسائلنا ... يمضي الزمان ، ولا يمضي بمعناها
تذكري كم سهرنا الليل نكتبها ... ونسكب القلب دماً في ثناياها
حتى إذا ما انتهينا من قراءتها ... عدنا إليها كأنا ما قرأناها
تلك الرسائل ما زالت تؤرقني ... لأنها سر ليلات سهرناها
تلك الرسائل ما زالت تعذبني ... لأنها وحي أيام أضمناها
أضمتها أنت ! لكني وهبت لها ... قلبي ليحفظ في الأعماق ذكراها
أضمتها ، فتركت الروح ضائعة ... تبكي ، وقد فقدت في الحب مأواها
هلا تذكرت عهداً كنت أحسبه ... يبقى ، فكان كأوهام بنيناها
أقسمت أنك لا تنسينني أبداً ... واليوم أسأل : من يا قلب أنساها ؟
أواه منك ومن حب وهبت له ... أيام عمري ، فأضناني وأضناها !
هواك يا جنتي نار مولهة ... تمشي على كبدي ، أو في حناياها
هواك فاضت به نفسي فرحها ... والكأس تهتز إن فاضت حياها
هواك يا أخت روحي حين أسعدها ... غنت ، وناحت لديه حين أشقاها
وما على النفس من لوم إذا صرخت ... لما استقر بها مهم فأدماها !
هواك جعل أشعاري وحيها ... إلى قلوب ترى الأشعار دنياها
فكل قلب شقي الحب ناح بها ... وكل قلب سعيد الحب غناها
لولا الهوى ماتت الأشعار في خلدي ... ولم أكن لأذوق الحب لولاها
مهما صنعت فلن أنسى الهوى أبداً ... فالحب أمنية قلبي تمناها
إذا رعيت حياتي فهي يانعة ... على يديك ، وعين الحب رعاها
وإن أبيت ، فآها كلما صرخت: ... ما كان أظلمها ! ما كان أقساها

ابراهيم محمد نجا

في سنة ٧٠٧ جمع الملك بعض خاصته وعلى رأسهم بكتمر ويلبغا وأيدمر ، وأمر بتدبير مؤامرة لاغتيال بيبرس وصديقه سلار ، واتفق الجميع على تنفيذها ، بعد إغلاق أبواب القلعة على البرجية وكلهم صنائع بيبرس ، وبلغ الخبر سلار وزميله ، فأمرا بأن يرد أبوابها ، ويطرقها دون أن يغلق أقفالها ، ويمر بالمفاتيح على السلطان كالعادة ، ليظن أنها أغلقت ، ففعل ذلك ، ثم استدعى بيبرس بكتمر زعيم المتآمرين وأطلعه على ما بلغه فسقط في يده وتبرأ من من المشاركة في ذلك ونمت المؤامرة إلى السلطان ، وحلف له أنه سيكون معه عليه ، ولن يبارح منزله حتى لا يشك ، وانتظر السلطان ومن معه حضور بكتمر لتنفيذ المؤامرة فلم يحضر ، فبعث في إحضاره فوجده في بيت الجاشنكير فعلم أنه تغدر به وأفشى سره ، وتوقع المكروه من بيبرس وسلار ، فأرسل بعض البطانة تستنجد بالشعب لينقذه مما وقع فيه » فلم تفتح الأسواق وخرج العامة والأجناد إلى تحت القلعة » وأرسل بيبرس بعض الأمراء ليحولوا بين الملك وبين النزول من القلعة والاتصال بالعامة ، وضاق الملك ذرعا بموقفه فأرسل إلى بيبرس « إن كان غرضكم في الملك فها أنا متطلع إليه فخذوه وابعثوني أي موضع أردتم » فرد عليه بيبرس « أن السبب هو من عند السلطان ومن المماليك الذين يحرضونه » وأخذت الرسل تغدو وتروح بين السلطان وبيبرس بمثل هذه المعاني .

(يتبع)

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تعليم اللغة العربية في الباكستان :

دعا سعادة السيد عبد الستار سيت سفير الباكستان في مصر جمعاً من الأدباء والكبراء إلى حفلة شاي بفندق «سميراميس» يوم السبت الماضي، لاستقبال محمد علي علوبه باشا سفير مصر في الباكستان. وقد قدم السفير الباكستاني السفير المصري بكلمة طيبة نوه فيها بجهوده الموفقة في تنمية العلاقات وتوثيق المودة بين البلدين. ثم وقف علوبه باشا فتحدث عن أمة الباكستان وما يربطنا بها من أسباب الحضارة الإسلامية في الماضي والحاضر وما يرجى من مصائرها في المستقبل. وتناول موضوع اللغة العربية ففصله على الوجه الآتي :

قال : إن في شبه القارة الهندية التي انقسمت إلى الهند والباكستان، نحو اثنتين وثلاثين لغة كل منها مستقلة عن الأخرى لأنها لغة إقليم لا يعرفها إقليم آخر، غير أن هناك لغة سائدة هي الأردية وهي التي تميل الباكستان بعد استقلالها إلى اتخاذها لغة رسمية بدل الانجليزية التي كانت لغة الاستعمار؛ وهناك عدد كبير يتكلمون اللغة العربية الفصيحة، منهم من يجيدون الخطابة بها بل يحفظون أشعار شعرائها كالمتنبي وغيره، ومنهم من يجدعشراً في التحدث والتخاطب بها ولكنه يقرؤها ويكتبها، وهناك مؤلفون يؤلفون بالعربية في الفقه والتفسير والحديث. وقد زرت جماعة من هؤلاء العلماء فأبدوا رغبتهم الشديدة في أن ينتشر تعلم اللغة العربية في الباكستان قائلين إننا نريد أن نتعلم لغتكم لا لأنكم عرب بل لأنها لغة القرآن. وبين سعادته مزايا انتشار اللغة العربية في البلاد الشرقية من حيث الثقافة والاجتماع والاقتصاد، وقال : إنه إذا كان هناك من يهتم بـ «الاسبرانتو» للتقريب بين أمم العالم فإن اللغة العربية هي «اسبرانتو الشرق»

وتحدث علوبه باشا عن اهتمام الحكومة الباكستانية بتعليم اللغة العربية وأشار إلى أن في كراتشي معهداً خاصاً بها تحت رعاية وزير المعارف ثم قال : رأيت إزاء ذلك كله أن أقترح على حكومتي إنشاء مدارس ابتدائية مصرية في مدن الباكستان تكون نواة لمدارس ثانوية أخرى، مهمتها نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية، واتفقت مع أولي الشأن هناك أن تكون بعثات الطلبة الباكستانيين إلى الأزهر والجامعة وسائر المعاهد المصرية من خريجي تلك المدارس فقط. وقد رحبت الحكومة الباكستانية بهذا المشروع وأبدت استعدادها لمعاونته والمساهمة فيه. ورأيت أن مهمتي قد انتهت بذلك فقد وضعت الأسس لبرنامج العلاقات الثقافية بين مصر والباكستان، وغاية الرجاء أن تتحقق أهدافه. ولعل سعادته يشير بانتهاء مهمته إلى الاستقالة التي قدمها ولا يزال مصراً عليها.

ثم قال إن لجنة تكونت في القاهرة من أعضاء بالمجمع اللغوي وأساتذة في الجامعة والأزهر لوضع أسس وقوانين لتكوين «جمعية الثقافة العربية بالشرق» غايتها تنمية العلاقات الثقافية العربية بين أمم الشرق وخاصة مصر والباكستان، ورجا أن تنال هذه الجمعية رعاية المسئولين من العلماء والرؤساء والزعماء وعلى رأس الجميع جلالة الفاروق.

ويلاحظ أن علوبه باشا أنهى الحديث عند اقتراحه إنشاء مدارس مصرية في الباكستان، ولم يقل لنا ماذا تم فيه وما مصيره لدى الجهات المصرية، ولم يكن بحاجة إلى أن يقول ذلك، فنحن نعلم أن هذه المقترحات لم يقم فيها برأي، لا في وزارة المعارف ولا في الأزهر.

وأريد أن أقول أولا إن وزارة المعارف المصرية في هذه الظروف تواجه مسائل ومشاكل في نشر التعليم بمصر تستغرق كل ما في وسعها، ومع ذلك لا ينبغي أن ينصرف عنها الأمل فيما يناسب من الفرص وما يأتي من الزمن، أما الأزهر فما أرى له عذراً في التوانيء عن نشر رسالة التعليم الإسلامي وتيسيره لطلابه في أية بقعة من بقاع الأرض، فهذه هي مهمته الأساسية باعتباره أكبر جامعة إسلامية في العالم وباعتبار أن الإسلام لا يتقيد بالحدود الجغرافية بل يعد ديار المسلمين المنتشرة في أنحاء الأرض كلها داراً واحدة.

وأريد ثانياً أن أخلص من ذلك لأتوجه إلى الحكومة الباكستانية فأسوق الحديث إليها : لماذا لا تنشيء بينها وبين مصر ما يسمى في وزارة معارفنا بـ «التعاون الشرقي» على غرار المتبع مع البلاد العربية من إيفاد الأساتذة المصريين إلى معاهدها للتدريس فيها. ومصر لن تضن على الباكستان بعدد من الأساتذة تعشيا مع ما تسير عليه من تنمية الروابط الثقافية بينها وبين الشقيقات على رغم أزمة المدرسين القائمة في مصر، ومن حسن الحظ أن أولي الأمر لم تصرفهم هذه الأزمة عن تلك المسؤليات التي يجب أن تعد النظر إليها بعيداً عن المواضع القريبة التي

لا تجاوزها أبصار بعض المواطنين ... وإنما تواجه الأزمة بالإكثار من إعداد المدرسين لا بالحيلولة دون أعداد منهم هنا وهناك تؤدى أغراضاً لابد منها .

فمن الخير أن لا ننتظر حكومة الباكستان حتى تنشأ المدارس المصرية المقترحة ، فقد يطول هذا الانتظار ، لانشغال وزارة المعارف ، والمتوقع أو الواقع من تراخى الأزهر ... ومن تعجيل الخير أن تبادر هى بتنظيم الأمر فى مدارسها ومعاهدها وتطلب من تريد من الأساتذة والمدرسين ، وعلى مصر أن تلبى .

الانتعاش الاجتماعى فى الإسلام

ينظم قسم الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية سلسلة من المحاضرات موضوعها الانتعاش الاجتماعى فى مصر ووسائل تحقيقه » كان منها يوم الجمعة الماضى محاضرة للشيخ عبد الوهاب خلاف بك عن « الضعفاء والفقراء والمرضى وما دبر به الإسلام شأنهم والوسائل التى تحقق سياسة الإسلام فيهم »

بدأ الأستاذ المحاضر بمقدمة فحواها أن كل أمة فيها فقراء ومرضى وضعفاء وأن هذه فطرة الله التى فطر الناس عليها ، وأن الاختلاف بين الأمم فى ذلك إنما هو فى نسبة من فى كل منها من هؤلاء ، وأنه لابد أن تكون لكل أمة سياسة حكومية وسياسة شعبية للعناية بهم لأنهم أعضاء فى جسمها وفروع من شجرتها .

وقد أطال فى هذه المقدمة البدهية . والأستاذ الشيخ خلاف خطيب ممتاز بحسن إلقائه وسلامة لغته وعباراته المختارة مع ارتجال لا توقف فيه ولا تلكأ ، وبهذه الصفات اجتاز مرحلة تلك المقدمة دون أن يمله السامعون .. ولكنه لما دخل فى صميم الموضوع - بعد فوات نصف الوقت - وفاه حقه إذ بحثه جيداً حتى أخرج زبدته قال : إن الإسلام عنى بالفقراء والضعفاء والمرضى فوضع لهم سياستين لتدبير شؤونهم ، سياسية وقائية وسياسة علاجية ، فالوقائية تقوم على أمرين ، الأول أن الإسلام أوجب على كل من يستطيع العمل أن يعمل وألا يعيش عالة على غيره ، وأورد فى ذلك آيات وأحاديث ، منها قول الله تعالى : « فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » وقول النبى صلى الله عليه وسلم « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى وهو يعلم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » . الأمر الثانى أن الإسلام قسم كل أمة الى عدة أمم صغير

كشكول الأسبوع

□ كان يوم الاثنين الماضى موعد انتخاب عضوين بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، مكان المرحومين الأستاذ المازنى والدكتور محمد شرف بك ، وجرى الانتخاب بين المرشحين ، وهم سبعة ذكرنا أسماءهم من قبل ، وتكررت عملية الانتخاب نحو خمس مرات ، ولكن لم يظفر أحد من السبعة بالنصاب القانونى الذى يقضى موافقة عشرين عضوا على حين أن الحاضرين لم يزيدوا على ٢٣ . وبناء على ذلك قرر المجلس تأجيل الانتخاب إلى الدورة القادمة ، مع إبقاء الترشيح الحالى وفتح باب الترشيح من جديد .

□ كان المجمع قد وضع فى العام الماضى مشروعا للتنويه بما يراه جديرا بالتنويه من كتب الأدب والثقافة العالية التى تصدر فى مصر وسائر العالم العربى . ولكنه بعد أن استعرض ما وقف عليه وما قدم إليه إلى الآن لم ير شيئا يستحق التنويه فى هذا العام .

□ صدر أخيرا « ديوان عماد » للأستاذ محمود عماد ، ويمتاز شعر الديوان بصدق الشعور وجمال الأداء . والأستاذ عماد شاعر أصيل الشاعرية فهو ليس بحاجة إلى أن يكتب على ديوانه « الفائز بالجائزة الأولى من المجمع اللغوى فى شعر المدرسة الحديثة الإبتداعية عام ١٩٤٧ » .

□ خطأ الدكتور زكى مبارك — فى حديثه بالبلاغ — الأستاذ محمد عبد الغنى حسن لاستعماله كلمة « الجداف » فى رثائه للمرحوم الأستاذ على محمود طه . ولو فتح الدكتور أى معجم لوجد به مجداف السفينة . ولم يكن يليق به أن يبادر إلى هذه التخطئة الخطئة وهو يرشح نفسه لعضوية المجمع اللغوى .

□ عين الأستاذ عزيز رفعت خبيرا بالإذاعة المصرية للافادة بخبرته الفنية فى رفع مستوى البرامج . والأستاذ عزيز شاعر أديب ، وقد كان مديرا لقسم الأحاديث بالإذاعة المصرية فى أوائل عهدها ، ثم وقع عليه اختيار الإذاعة البريطانية ليدير القسم العربى بها فى لندن ، وظل هناك عدة سنوات ثم عاد إلى مصر أخيرا . ونرجو أن تستفيد الإذاعة المصرية من خبرته لو وجد طريق العمل ظليلا خاليا من العقبات .

□ من المناظر المؤذية — مع الاعتذار لزميلنا ملحوس المصور — أن يقف شاعر ليلقى قصيدة فى حفل ، فلا يستعيده أحد ، ولكنه يعيد ويزيد فى الإعادة ، والمستمعون يتململون ...

□ كتب نائب لبنانى فى صحيفة لبنانية يدافع عن زراعة « الحشيش » هناك وتصديره إلى مصر . فقال إن مصر تصدر إلى لبنان الأفلام المصرية وهى أشد ضررا من الحشيش .

هى الأسر ، وأوجب تضامناً خاصاً بين أفراد الأسرة كفرض نفقة العاجز على الموسر .

أما السياسة العلاجية فهى ما جعله الله للفقير فى مال الغنى من حق معلوم ، وهى سياسة اشتراكية عادلة ، تجعل للفقير حقاً فى مال الغنى لاحق الاعتداء على ماله ؛ جعل الاسلام إحياء المواسم والأعياد بالتصدق على المحتاجين ، وجعل كفارة الآثام معونة الفقراء والمساكين ، والآثام دورية إذ لاتخلو منها تصرفات الانسان فكفارتها كذلك لاتنقطع ، وجعل الاسلام خمس الغنائم للفقراء والمساكين ، وقضى بأن التركة التي لاوارث لها تضم إلى بيت المال لتنفق فى وجوه الخير .

ثم قال الأستاذ المحاضر : هذه التعاليم لمَ لمْ تثمر ؟ وبعبارة أخرى لماذا نرى حال المسلمين الآن أكثر سوءاً من غيرهم مما يوم أن الاسلام لم يعن بأمر ضعفائهم وفقرائهم ، ولكن الاسلام هو البرىء المتهم وهو مظلوم من أهله ، مثله مثل الطبيب الذى يصف الدواء ولكن المريض يهمل تعاطيه ، ولو أن تلك الوسائل التى وضعها الاسلام نفذها المسلمون لما رأينا هذا الجيش الجرار من المحاويج .

وفصل ذلك التقصير بقوله : إن الاسلام لما أوجب هذه الواجبات قسمها قسمين ، قسما جعله من وظيفة الدولة كالزكاة ، وقسما تركه لسخاء الناس لتربية النفوس وتعويدها السخاء وابتغاء أن تسود روح التراحم والتعاون بين أفراد الأمة ، أما الأول فقد أهملته الحكومات الاسلامية مع أن إيتاء الزكاة من الخمس التى بنى عليها الاسلام ، فإن كانت الضرائب التى تجبى تشتمل على الزكاة فلم لا تصرف إلى وجوهها ومصارفها المعروفة ؟ والقسم الثانى أهم سبب يحول دون تحقيقه هو ضعف الوازع الدينى ، والسبيل إليه هو التربية الدينية ، ولو أن كل واحد حنث فى قسم فكفر عنه لما رأينا فقيراً .

فيجب للانعاش الاجتماعى أن يبعث مشروع الزكاة المحال على « لجنة » بوزارة الشئون الاجتماعية — وأن يبعث روح التضامن بين الأفراد .

وثمة ظاهرة أخرى من معوقات الإنعاش الاجتماعى فى البيئات الاسلامية ، تتمثل فى أولئك الذين يحسبون أنفسهم متدينين ، أولئك الذين تراهم قانعين قاعدين راكدين ، مع أن الاسلام يحث على النشاط واستكمال أسباب القوة والعزة ، وهم يدعون أنهم متوكلون وإنما هم متواكلون ، فالتوكل أن تأخذ بالأسباب وتترك النتائج للمقادير ؛ كما يدل على ذلك قول رسول الله للاعرابى : « اعقلها وتوكل » .

حيرة الجبل الجرير فى الأزهر

جاءتنى رسالة من « ضياء الحائر بكلية الشريعة » ولست أدرى هل « الحائر » من اسمه أو من حيرته ، فان الموضوع الذى ضمنه رسالته يحيره ويحير إخوانه طلبة الأزهر ، كما أنه يحير كل غيور على رسالة الأزهر التعليمية فى هذا العصر ؛ وأنقل مما كتبه إلى الطالب « الحائر » ما يعرض صلب الموضوع ، فيما يلى :

« من المعلوم أن الطالب الأزهرى فى هذا الوقت المصيب يعصره الهم ويكاد يقضى عليه الحزن . فهو رهن محبسه المعتم ، ليفك الطلاسم ويحل الرموز التى تمسك بها شيوخنا كأنما هى وحى يوحى ؛ وقد وضعوا للكليات كتباً مطولة لم توضع لعصرنا ولا على نظام مدرسى ، وإنما هى أخلاط وأنماط شتى يحللها الطالب وحده ليخرج من بينها لبناً خالصاً . . وأنت جد خبير بما يلاقيه المسكين من إعنات وإرهاق يفوق كل وصف ، ولعل سيدى يذكر حالة الطالب الأزهرى وما يكتنفها من مشاق وصوارف . ونوازع ولا أحرج من القول بأن حالتنا على وجه عام سيئة ، وغالبيتنا لا تعرف شيئا عن الرفاهية على الإطلاق . فى هذا الخضم الماثج يقف الطالب مشدوها حائراً فيما يطلبه الشيوخ منا ، وهو دراستنا لهذه الكتب العقيمة وحدنا ؛ بمعنى أن الاستاذ لو درس من الكتاب نصفه أو ثلثه فعلى الطالب أن يكمل الباقى وحده ، فيكد ويكد حتى يمشى نظره أو يحدودب ظهره أو يفقد صحته وما هو ببالغ مما يريد شيئا ، ولقد كان من العدل شيئا ما ، فى زمن مضى ، أن ما يقرأ فى جميع السنة الدراسية بمثيره هو المقرر ويؤدى فيه الامتحان ، لأنه ما دام الطالب بمعونة المدرس لم يستطع أن يستوعب الكتاب فمن غير المعقول أن يعيه وحده على أى وضع كان . ولا إخالك ياسيدى تظن أن المقروء شىء بسيط ، فهو على أية حال بلاء كبير جداً . على أننى لا أكاد أعرف الحكمة فى تعيين المدرسين للأزهر ما دام الطالب هو الطالب وهو الأستاذ معاً ! »

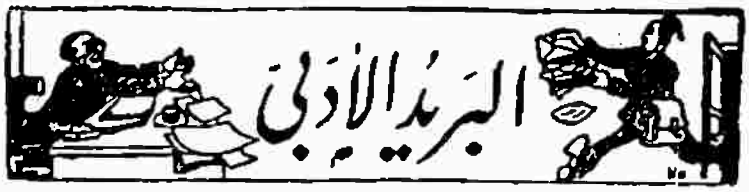

الى معالي الدكتور طه حسين بك

رجعت إلى عدد من أعداد « مجلتي » التي كان يصدرها الأستاذ أحمد الصاوي محمد ، لأني تذكرت به شيئا كنت قد أطلعت عليه وانتظرت أوانه وأعجبت بما جاء فيه ، حتى آن الأوان وحان البحث وجاء موعد الوفاء ..

هذا العدد هو ذلك الذي صدر في ١٥ يناير ١٩٣٥ وهذا الشيء الذي تذكرته هو مقال للاستاذ الدكتور طه حسين تحدث فيه عن كتاب « تحت سمائك الزرقاء Sous ton ciel blue » للقاضي الفرنسي « شارل بوبيس باريرا Charles puech—Barrera » وهو كتاب كتب عن مصر العزيزة وتلك السماء الزرقاء هي وسماؤها . والذي يهمني اليوم من هذا المقال هو هذه الفقرة التالية التي ختم بها الدكتور هذا المقال الشيق في مؤتنف عام ١٩٣٥ إذ قال :

« ما أجدر هذا الكتاب أن يقرأه المصريون ليروا فيه أنفسهم قبل أن يقرأه الأجانب ليروا فيه المصريين . لو أن إلى أمر التعليم لجعلت هذا الكتاب بعض ما يعرض على الشبان الذين يتعلمون اللغة الفرنسية ، فمن يدري لعله يحبب إليهم هذه اللغة لأنه يتحدث إليهم عن أنفسهم ؛ ولعله يحبب إليهم قبل كل شيء أن يحاولوا وصف ما يرون وتصوير ما يجدون كما وصف الكاتب ما يرى وكما صور ما يجد . ثم من يدري لعله يثير في نفوسهم شيئا من هذا الحياء الخصب ومن هذه الغيرة المقدسة فيقول بعضهم لبعض ما ينبغي أن يحتكر الأجانب وإن كانوا كراما تصوير مصر من دون المصريين ، وما ينبغي أن توحى مصر إلى الأجانب قانونا من الأدب الرائع شعرا ونثرا وأن تترك أبناءها أو أن يتركها أبناؤها لا يستوحونها ولا يستلهمونها ولا يقولون فيها الشعر الرائع ولا يكتبون فيها النثر الجميل .

ثم لو أن إلى أمر التعليم لوضعت هذا الكتاب وأمثاله من الكتب التي تتحدث عن مصر بين أيدي الشباب ولأخذتهم بترجمته وتكرار النظر فيه »

هذا ما قاله معالي الدكتور في عام ١٩٣٥ ، ولا ريب أنه يتذكر هذا جيداً ، وذاكرته القوية خير شفيع لذلك . والآن وأمر التعليم قد وكل إلى معاليه يحسن بنا أن نذكره بهذا الأمر الهام الذي أشار إليه فيما مضى وأخذ على عاتقه أمر تحقيقه لو أن إليه أمر التعليم في مصر ..

ولست أريد بهذه اللفتة الخاطفة ذلك الكتاب الذي ذكر بالذات ، وإنما أومىء إلى الرأي وأنوه بالغرض الذي رمى إليه . والكتب الفرنسية وغير الفرنسية التي كتبت عن مصر بعد (تحت سمائك الزرقاء) كثيرة متنوعة ، ومعالي الدكتور هو أدرى الناس بها ، فليتخذ ما يشابه منهـــا كتاب القاضي شارل وليضمه تحت الغرض الذي أراده من فقرته السالفة .

إن هذا الرأي هام جداً ولا أحب أن أذكر ما عليه من الأهمية وما له من الفوائد الجلية ، فحسبي ما جاء في فقرة معاليه وفي مقاله الذي حوى هذه الفقرة .

فإليه أبعث بهذه التذكرة عسى أن تجد لديه ما ترمي إليه من فائدة للأمة وللمتعلمين ، وفقه الله إلى كل خير في سبيل هذه الأمة المصرية التي تتنشق نسماتها وتحيا تحت سمائها الزرقاء ..!

أحمد طه السنوسي

ولا أريد أن أتوسع في التعليق على هذه الرسالة قبل أن أسمع آراء إخواننا الأزهريين ، أساتذة وطلاباً ، في قيمة هذه الكتب المعقدة التي تفرض على طلاب العلم في هذا العصر ، وأسأل : هل انتفع الأزهريون بما حصلوه من العلوم الحديثة وما رأوه من طرائقها ، في ثقافتهم الأزهرية الأصيلة ؟ أما مسألة « للقروء وللقرء » فهي ظاهرة ، كتب تتوارث الأجيال الأزهرية فهم عباراتها ومدلولاتها ، ليس من العدل أن يكلف الطالب إدراك مميزاتها وحده ، فلا هم يجرون على طريقة « التوقيف » القديمة ، ولا هم يجعلون المقصود تحصيل العلم من مراجع يتيسر التحصيل منها .

عباس فضر

الدكتور طه حسين وجمهورية أفلاطون

حكام الدولة المثلى فى جمهورية أفلاطون هم الفلاسفة الحائزون لروح الفلسفة وقوتها ... يقول أفلاطون : « ما لم تجتمع الحكمة والزعامة والسياسة فى رجل واحد ، لا تستطيع الدول أن تتقى من أدوائها ... ولا الجنس البشرى » . واستطرد قائلا « إن هؤلاء الفلاسفة بعد أن يجتازوا الامتحان الأول والثانى ... « جمهورية أفلاطون ٤١٥ تلخيص مروف » يجب أن ينزلوا من قمم الفلاسفة إلى ظلمات الكهف وإلى عالم الناس والأشياء ، وهنالك يخوضون معمعة الحياة ويصطدمون برجال الحيلة والدهاء ، وفى ميدان هذا النزاع يتعلمون من كتاب الحياة المفتوح أمامهم .

قد يؤذى الكفاح أصابعهم ، وقد تجرح حقائق الحياة بعض مذاهبهم الفلسفية .

وها هو اليوم الدكتور طه حسين بك الذى سير أغوار الحياة ، واصطدم بغدر الناس ومكرهم ، وأذى الكفاح أصابعه ، وجرحت حقائق الحياة بعض مذاهبه الفلسفية ، يتولى وزارة المعارف المصرية ، أى الدولة القائمة بشئون التعليم ، فى المملكة المصرية لا فى جمهورية أفلاطون ، ولا كما يعيش بعقله الكبير وخياله الواسع فى الفلسفة اليونانية ، بل فى دنيا الواقع وفى عام سنة ١٩٥٠ . أمد الله فى عمر العلامة العظيم ، وهيأ للعرب دولة مثلى تقوم على أكتاف مثل طه حسين .

الدويم — سودان — مصطفى شكرى

جنة الحيوان — لمعالى الدكتور طه حسين بك

إذا استطاع الكاتب أن يوقظ وجدانك ؛ ويثير انفعالك ، ويخلق فى نفسك عاطفة نحو ما يعالج فقد أدى رسالته الفنية أبلغ أداء . وإذا قيس كتاب — الدكتور — بهذا المقياس فلاشك أنه يرجح رجحانا كبيرا . وهو فى هذا الكتاب يتناول بعض ما يطفو على سطح المجتمع من مظاهر شائنة ، وأعراض لأمراض خلقية وإجتماعية وفكرية ؛ ولا يزال — الدكتور — يصور لك ألوانها ، ويأخذ بيدك تارة ليطوف بك فى ميادينها ، وتارة ليرجع بك إلى أسبابها ومنابعها ؛ ثم يرسم طريق النجاة من مفاسدها ؛ كل هذا وأنت مأخوذ بسحر العرض وإبداع التصوير ، وإذا به يمس شعورك بما عرضه عليك . ويذكى يقظتك إلى هذه الألوان فى محيطنا ، وينذى وعيك الاجتماعى ، والفكرى . وينشطه ويحييه ؛ وإذا وصل بك الكاتب إلى هذا المرتقى فقد أخصب شخصيتك وأرهف حسك

والدكتور — لم يقصد أن يجرح أشخاصا بقدر ما يهمه أن يعالج أمراضا ، ويزيل عيوبا ، ويحل مشاكل . فإذا اتخذ هذه الشخصية أو تلك ليدير حولها الحديث فما كانت شخصية هؤلاء بالهدف الأصيل بل هى وسيلة إلى تقويم القيم الاجتماعية والفكرية. أنظر إلى — الدكتور — يصور بعض الشخصيات المطبوعة بطابع المكر والدهاء والتى يطلق عليها لفظ — الثعلب — ليلخص لك جوهر هذه الشخصية فى هذا اللفظ الواحد الذى كأنه المصباح يضىء لك كل جوانب الشخصية . فيقول : لو رأيته قبل العشرين سنة ياسيدتى لما أنكرت منظره هذا الغريب حين يقبل مقدوحا كأنه البرمة المائلة لم ترتفع فى الجو كثيرا ولكنها إتسعت عن يمين وشمال ، وامتدت من خلف وامام . وهى تمشى مع ذلك خفيفة لا تكاد الأرض تحس لها ثقلا لأنها من لحم وعظم ، ولم تتخذ من حجر وصخر . ولو رأيته قبل عشرين سنة ياسيدتى لما أنكرت منظره هذا الغريب حين أقبل فحيا ثم تقدم يمشى حتى إذا بلغ مكانه جلس وكأنه الكثيب المنهال . فكان الناظر إليه يسأل نفسه لأول وهلة : أيرى إنسانا جالسا أم يرى كومة من الرمل قد استخفى فيها شخص ضئيل لا يكاد يظهر منه الانقاطيع وجهه ضئيلة غائرة لولا هذا الصوت

الذى يخرج منها ضئيلا نحيلا، ولولا هذا الشرر الذى يتطاير من عينين صغيرتين لا تفتح عنهما الجفون إلا فى بطء بطىء وثقل ثقيل كأنما يشد بخيط قد ركب فى قفاه . وقام شخص من ورائه يجذبه متكلفا بين حين وحين وبعض — الدكتور — فى تصوير خصائص هذا — الثعلب — الجسمية والخلقية والعلمية بهذا الأسلوب الطيع الذى يشف عن معانيه . ويبرزها كما تبرز المرآة ما يتراءى على صفحتها من الوجوه والملامح ... أرأيت جمال هذه الصورة التى صورها — للثعلب — فى قصره . وضخامة جسمه؟ وما أظرف وأفكه تشبيهه بالبرمة الهائلة التى لم ترتفع فى الطول ولكنها اتسعت عن يمين وشمال وامتدت من خلف وامام. ثم يصوره جالسا بالكثيب . قد لا توافق الدكتور فى هذا الرأى أو ذاك، ولكنك لا تستطيع أن تملك اعجابك به فى العرض والتصوير والتحليل . هذا هو الجانب الفنى فى هذه الفصول الممتعة التى ينسقها فى كتابه الجديد — جنة الحيوان

محمد عبد الحليم أبو زيد

تصحيح :

فى قصيدة الأستاذ ابراهيم الوائلى المنشورة فى العدد الماضى بعنوان (غيوم) كلمات تصحح كما يلى :

فى البيت الثانى : يمرحن ، وفى السابع : سائل الظل . وفى الحادى عشر : ثم أغفت ، وفى الخامس والثلاثين . نهزة العيش حلم ، وفى ما قبل الأخير . فى الرماد المذاب .

دفاع عن البلاغة

للاستاذ احمد حسن الزيات

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجل معرض ويدافع أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، والذوق ، وآلة البلاغة ... الخ

والذوق من فصوله المبتكرة المعروفة ، العامية الأسلوب ، والمذهب الكتابى المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغه من هؤلاء وأولئك .. الخ

يقع فى ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا عدا أجرة البريد

تاريخ الادب العربى

للاستاذ احمد حسن الزيات

يؤرخ الأدب العربى من عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوى ، ومستيعاب موجز وتحليل مفصل ، واختيار موفق ومقارنة بين الأدب العربى والآداب الأخرى .

طبع اثنى عشر مرة فى ٥٢٥ صفحة

وثمنه أربعون قرشا عدا أجرة البريد